عصمت سيف الدولة

هذه الدعوة إلى الاعتراف المستحيل

قصة الإعتراف :

1- تطوف بالعالم اليوم دعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية تحرضها على الإعتراف بإسرائيل اعترافا مبادرا أو إعترافا متزامنا . فكرة الإعتراف بإسرائيل هذه ليست جديدة . فقد ثبت فى بعض الرؤوس منذ بداية معارك تحرير فلسطين من الغزو الصهيونى ، المعارك الثورية أو الحربية أو السياسية أو الفكرية أو الدعائية . وكانت تبقى كامنة أو تتردد خفية إلى أن تظهر دعوة صريحة أو ضمنية كلما حقق الصهاينة نصرا أو حاقت بالعرب هزيمة .

كان أول ظهورها دعوة ضمنية بعد يوم 29 نوفمبر 1947 ، قبل ذلك اليوم كان العرب قد خاضوا معركة سياسية خاسرة بدأت فى مؤتمر لندن الثانى الذى انعقد فى سبتمبر 1946 وقدموا فيه اقتراحا بدولة فلسطين موحدة تضم العرب واليهود فى مواجهة مشروع موريسون القائم على التقسيم . وانتقلت المعركة الى أورقة هيئة الأمم المتحدة وانتهت يوم 29 نوفمبر 1947 بهزيمة عربية . فى ذلك اليوم أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بتقسيم فلسطين العربية الى دولتين إحداهما للصهاينة والأخرى للعرب ، كان قبول العرب قرار التقسيم يعنى فيما يعنى الإعتراف المسبق . اذا لم تقل الصريح بدولة اسرائيل . فرفض العرب . حينئذ أنبرت مجموعات وأفراد وأحزاب فى الوطن العربى تتميز إما بالعداء للقومية وإما بالولاء للاستعمار وإما بالجهل . تدين الرفض العربى لقرار التقسيم وتدعو الى قبوله بما يعنيه من اعتراف بدولة الصهيونية . وتقدم لذلك حججا شتى قد نعرض لها فيما بع . ثم لم تلبث هذه الدعوة الضمنية حتى تحولت الى دعوة صريحة على أثر الهزيمة العربية فى معارك مايو - يوليو 1948 ، وإبرام اتفاق الهدنة الثانية فى رودس عام 1949 . ثم عادت الدعوة الى الكمون بعد معركة 1956 . أو لأن مجمل حصيلة تلك المعركة كانت انتصارا وهزيمة عربية صهيونية .

. 3 .

وثانيا ، لأنها كشفت عن العلاقة العضوية بين الكيان الصهيونى وبين القوى الاستعمارية فتغيرت إلى حد كبير مواقف بعض الذين كانوا يتصورون أنها تستحق الاعتراف لأنها دولة ديموقراطية وقيل تقدمية أيضا .

بعد الهزيمة العسكرية الجسيمة التى أصابت مصر وسوريا والأردن عام 1967 برزت الدعوة إلى الاعتراف بإسرائيل المنتصرة فى شكل جديد أكثر ثقة من أية مرة سابقة ، تدعمها ـــ أولا ـــ هزيمة ثلاث دول عربية مسلحة تسليحا جيدا من بينها مصر المتطورة إقتصاديا واجتماعيا وعسكريا تحت قيادة عبد الناصر ، بما توحى به من أن كل أمل للعرب فى تحرير فلسطين قد تبدد أو يجب أن يتبدد . فلم تعد ثمة حاجة إلى دعوتهم للإعتراف . ما على الصهاينة إلا أن ينتظروا بجوار تليفوناتهم إلى أن يتلقوا الاعتراف . ثانيا ، أنه إذا كان ثمة بقية من العناد العربى فقد تكلفت الولايات المتحدة بمحاولة تطويعه ، فحالت ـ لأول مرة فى تاريخ الأمم المتحدة دون أن يصدر قرار بإيقاف إطلاق النار مصحوبا بطلب العودة الى المواقع التى بدأ منها القتال . وهكذا كان كما جاء بالقرار 242 الشهير ، فأصبحت الأرض العربية فى سيناء وغزة والضفة والمرتفعات السورية رهينة فى يد الصهاينة لاترد إلا بعد الإعتراف بإسرائيل .

ولكن لم يمض وقت حتى أجمع فى مؤتمر الخرطوم الذى إنعقد فى أغسطس 1967 على ألا صلح ولا مفاوضة ولا إعتراف .

2- بعد ذلك الوقت برزت الى مقدمة الصفوف العربية قوة جديدة هى قوة الثورة الفلسطينية تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية . كانت الثورة قد بدأت بداية يحجبها ظل الدولة العربية يوم أول يناير 1965 على أيدى مقاتلى حركة تحرير فلسطين (فتح) . ومازالت محجوبة بظل الدول العربية إلى أن انهزمت تلك الدول فظهرت الثورة الفلسطينية كمعقد أمل يكاد يكون وحيدا للاستمرار والنضال المسلح إلى أن يتم تحرير فلسطين . ولعب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر دورا أساسيا فى إفساح الطرق أمام الثورة الفلسطينية لتأخذ مكانها فى المقدمة عربيا ودوليا .

لم تغب دلالة ذلك الحدث التاريخى عن أحد ، لقد كانت تعنى أن العرب قد ملكوا فى النهاية الأداة الصحيحة المناسبة لتحقيق النصر فى معركة

تحرير فلسطين . إذ هى ثورة وليست دولة وضد دولة معترف بها من كثير من الدول ومن هيئة الأمم المتحدة ذاتها ، وبالتالى فإنها تستطيع من حيث هى ثورة وليست دولة أن تستمر حتى النصر متحررة من كافة القيود الدستورية الدولية التى تحد من مقدرة الدول على القتال ضد دولة معترف بها . وقد رحبت بها كل الدول العربية وأمدتها بما استطاعت من تأييد معنوى ومادى لا لأنها رفيق نضال بل لأنها تقدم أيضا الى الدول العربية اعذارا لايبدو مقبولا للتحرر من التزاماتها بتحرير فلسطين وذلك بأن تكون الثورة هى المسئولة عن هذا التحرير . وقد صاغوه شعارات تقول : شعب فلسطين هو المسئول عن تحرير فلسطين ، لاتتدخلوا فى شئون الثورة ، نحن نقبل ماتقبله الثورة ... الخ .

ولكن الثورة كانت تحمل فى ذاتها بذور مخاطر جسيمة ، أن نبتت ونمت هددت أصدقاءها وأعدائها جميعا .

أما أصدقاؤها ، ولنقل الدول العربية ، فقد كانت تمثل بالنسبة إليهم تجربة غير مأمونة العواقب . فهى ثورة شعبية تقاتل من خارج حدود فلسطين أى من أرض هذه الدولة أو تلك . ويتوزع الاحتياطى البشرى لها فى كل الأرض العربية ، وهى تحقق انتصارات محدودة ولكنها بالقياس إلى هزائم الدول العربية تبدو ذات مقدرة هائلة على تخصيب الاتجاهات الثورية فى كل الأقطار . ثم أنها تقاتل من أجل قضية مسلم بأنها قومية وبالتالى إنها ، شاءت أم أبت ، لابد لها من أن تتطور خلال المعارك أو من خلال التعامل مع الدول الشعبية على امتداد الوطن العربى ، والتأثير المتبادل بين هدف تحرير فلسطين وهدف التحرر والتقدم والوحدة ، فتصبح ثورة قومية ، وهذا ما تخشاه الدول العربية خشية الموت .

ولقد استطاعت الدول العربية أن تبقى على مايرضيها من الثورة وأن تحتوى المخاطر المتوقعة عن طريقين . الطريق الأول الحضور الفعلى داخل إطار الثورة وذلك بالمساهمة فيها عن طريق منظمات مرتبطة بها أو متحالفة معها أو تابعة لها ، تقوم عندما تصل الثورة الى مرحلة الخطر المتوقع بإيقاف تطورها وإبقائها فى الحدود المقبولة ، الطريق الثانى تطويق الثورة بالقيود التى تحول فى المستقبل دون أن تصبح خطرا وذلك

. 5 .

بإفساح مكان لها كعضو أصيل فى جامعة الدول العربية حيث تكون ملتزمة بما تلتزم به الدول العربية من التشاور والتعاون والتضامن وعلى وجه خاص عدم التدخل فى شئون بعضها البعض والضمان المتبادل لأمنها الداخلى . وهكذا قبلت (فتح) وبقية المنظمات الدخول فى إطار منظمة التحرير الفلسطينية وعزل أحمد الشقيرى وحل محله ياسر عرفات واستحق منذ وقتها أن يعامل عربيا معاملة رؤساء الدول حتى يمكن مطالبته بأن يسلك فى قيادته مسالك رؤساء الدول . هل شعرت الثورة بآثار هذا التطويق وهل استمعت فى صالونات الجامعة العربية إلى واحد أو أكثر من " الإخوة " الملوك والرؤساء يدعوها للإعتراف باسرائيل ؟ ... لست أدرى . ولكن الذى أدريه أن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقواتها المسلحة قد دعى ، كما يدعى رؤساء الدول ، الى حضور جلسة من جلسات مجلس الشعب فى القاهرة ، وهناك سمع بأذنيه إعلان الرئيس أنور السادات عن استعداده لزيارة القدس المحتلة .

3. هذا ماكان من أمر الدول العربية الصديقة أما الأعداء الذين تقودهم الولايات المتحدة الامريكية فيجدوا أن منظمة التحرير الفلسطينية تنطوى على عنصرين ، فمن حيث هى ثورة شعبية مسلحة تملك المقدرة على الاستمرار فى القتال حتى النصر ، أى حتى تحرير فلسطين وتصفية المؤسسة الصهيونية المسماة اسرائيل . وإن من أهم العوامل المساعدة على هذا الانتصار قابليتها لاستمرار فى القتال بأشكال بلغة المرونة والتنوع لاتستطيع أن تتوفر لأية دولة بما فيها اسرائيل ، وإلى مدى زمنى مفتوح على وجه لاتستطيع أن تحتمله أية دولة بما فيها اسرائيل . وهى بهذا تمثل خطرا داهما على المؤسسة الصهيونية ، أما العنصر الثانى فى منظمة التحرير الفلسطينية فهو هويتها السياسية التى أصبحت عنصرا بالغ الأهمية منذ أن اعترف لها عربيا بأنها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ، بهذه الصفة يمكن حملها على الاعتراف باسرائيل ، فتعاملت القوى المعادية مع منظمة التحرير الفلسطينية طبقا لمخطط ذى هدفين . أولهما تصفيتها كثورة لتأمين الوجود الصهيونى فى فلسطين ، والإبقاء عليها كمنظمة سياسية تمثل الشعب الفلسطينى لتقدم فى النهاية الاعتراف المطلوب باسرائيل .

. 6 .

ولقد بدأ تنفيذ هذا المخطط فى النصف الثانى من عام 1970 حينما اقتلعت قواعد الثورة من شرق الأردن وطوردت قواتها حتى لبنان ، وما إن استردت قوى الثورة أنفاسها

واستقرت فى لبنان حتى بدأ القتال ضدها فيما تطور بعد الى حرب أهلية صاحبتها حرب الاغتيالات فى قلب بيروت وفى الخارج .

وفى تلك الأثناء ذاتها أى بينما كان مخطط تصفية الثورة ينفذ بأساليب متصاعدة من القسوة والوحشية كانت منظمة التحرير تتقدم على طريق مرسوم ، وتحرز مكاسب سياسية ومعنوية ودعائية غير قابلة للإنكار . تقدمت أولا الى موقع الاعتراف العربى الكامل بها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطينى وأتيح لها أن تمارس سلطتها عليه أينما كان بمثل ما تمارس الحكومات من سلطة على رعايا الدولة فتفرض عليهم التجنيد وتجبى منهم الضرائب ، وتقدمت فكسبت على المستوى الدولى اعترافا متناميا فأصبح لها فى كثير من الدول " مكاتب " شبه دبلوماسية . وتقدمت فكسبت ما يكاد يكون إجماعا فى الرأى العام العالمى على استحالة استقرار السلام فى " الشرق الأوسط " فى غيبة الشعب الفلسطينى الذى هى ممثلته الشرعية والوحيدة . وتقدمت فكسبت مقعد المراقب فى هيئة الأمم المتحدة وعومل رئيسها معاملة رؤساء الدول ... الخ .

4. هذا التزامن بين محاولة تصفية المنظمة كثورة ومحاولات تدعيمها كمؤسسة سياسية لفتتنا الى ظاهرة " الرشوة " الكامنة فى هذا التعامل المنافق ، ومدى المخاطر التى تنتظر المنظمة على تطوير تقدمها ، فكتبنا محذرين منذرين سلسلة من المقالات نشرت عام 1975 تحت عنوان "التقدم على الطريق المسدود " جاء فيها :

" لقد فتحت الثورة الفلسطينية الطريق وتقدمت عليه وحققت مكاسب لايمكن إنكارها ، وفرضت الثورة الفلسطينية على القوى المعادية أن تفسح لها الطريق فتقدمت عليه وحققت مكاسب لايمكن إنكارها ، يستويان فى الحاضر . ولكن المستقبل مختلف ، إن ذات القوى المعادية للأهداف الاستراتيجية للثورة قد أقامت فى نهاية الطريق سدا معلوما ومعلنا أساسه الاعتراف الصريح أو الضمنى باسرائيل ، أو ضمان أمن حدودها ، أى تصفية

. 7 .

الثورة ، إن الثورة الفلسطينية تتقدم ولكن على طريق مسدود ، وغدا أو بعد غد ستصل خلال تقدمها الى السد ، ولن يقول أحد أنه قد فوجئ فإن كل شئ مفضوح . فما الذى ستفعله الثورة حينئذ ؟.

".. إن كل القوى التى تراجعت أمام الثورة حتى الآن ستدير ظهرها الى السد وتواجه الثورة من موقف عداء سافر. إن الذين مهدوا من قبل للتخلص من المسئولية سيقفون بعيدا ويقولون للثورة قررى أنت مصيرك فإن الشعب الفلسطينى هو المسئول عن تقرير مصيره . والذين اعترفوا بالشعب الفلسطينى وبأن منظمة التحرير هى ممثله الشرعى والوحيد سيقولون لها قد آن الآوان لتعترفى بالوجود الاسرائيلى . والذين استقبلوا قائد الثورة فى هيئة الأمم المتحدة وقدموا الى الثورة مقعد المراقب سيطلبون من الثورة أن تلتزم بميثاق الأمم المتحدة فلا تستولى على ا؟لأراضى بالقوة ولاتعتدى على دولة عضو فيها وتحترم قراراتها التى تعترف بالوجود الاسرائيلى ، باختصار.. عند السد ، ستكون الثورة الفلسطينية مطالبة بالثمن من الأعداء والحلفاء والأصدقاء ، وعلى المستوى الرسمى العربى والدولى ، وفى مواجهة كل هؤلاء سيكون عليها أن تجيب على السؤال الصعب : ماذا تفعل ؟..

5. نشر هذا التقرير يوم 2 فبراير (شباط) عام 1975 أى قبل اليوم بنحو سبع سنوات . وتلته مقالات تضع تحت تصرف الثورة الفلسطينية بدائل منهجية وفكرية واستراتيجية وتكتيكية وتنظيمية على مستويات علاقاتها الداخلية والعربية والدولية ، السلمية والمقاتلة ، بقصد تمكينها من إعداد نفسها ليوم تواجه فيه السد الذى يقطع عليها طريق التحرير..

غير أنه فى المدة من 1975 حتى 1979 حلت بالعرب ، كل العرب ، أبشع هزيمة وأكثرها تدميرا فى تاريخهم كله ، أكثر بكثير من هزيمتهم أما الصليبيين الذين اغتصبوا الأرض وأقاموا الممالك ثم انهزموا بعد قتال استمر نحو قرن . أكثر بكثير من هزائم 1948 و1956 و1967 مجتمعة. تلك هزيمة العرب التى تحققت فى مصر تواريخ متتالية بدأت باتفاقية فض الاشتباك الثانى فى أل سبتمبر 1975 واتفاقيات كامب ديفيد فى 17 سبتمبر والاتفاقية المسماة اتفاقية السلام فى 26 مارس 1979 وبها تمت الهزيمة العربية المروعة

. 8 .

باعتراف حكومة مصر بإسرائيل ومطالبتها العرب بأن يعترفوا بها .

وأسميها هزيمة لكل العرب ، لأنه لا يوجد فى الوطن العربى دولة أن نظام أو حزب أو جماعة أو منظمة لم تسهم إيجابيا فى تداعى الأحداث على الساحة العربية تداعيا أدى إلي اعتراف حكومة مصر بإسرائيل ومطالبتها العرب بأن يعترفوا بها . كلهم مذنبون بالاشتراك

فى طريق التحريض أو المساعدة أو الاتفاق ، بالفعل أو بالامتناع عن الفعل ، فى الهزيمة التى وقعت بهم جميعا فى مصر العربية .

6. فى اتفاقيات كامب ديفيد وثيقة تحمل " إطار السلام فى الشرق الأوسط " تحت عنوان فرعى عن " المبادئ المرتبطة " . يجرى نص هذه المبادئ على الوجه الآتى :

"1ـ تعلن مصر وإسرائيل أن المبادئ والنصوص المذكورة أدناه ينبغى أن تطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وبين كل جيرانها مصر والأردن وسوريا ولبنان .

"2. على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التى هى فى حالة سلام كل منهما مع الأخرى ، وعند هذا الحد ينبغى أن يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق هيئة الأمم ، ويجب أن تشمل الخطوات التى تتخذ فى هذا الشان :

" (أ) الاعتراف الكامل .

" (ب) إلغاء المقاطعة الاقتصادية .

" (ج) الضمان فى أن يتمتع المواطنون فى ظل السلطة القضائية بحماية الإجراءات القانونية واللجوء إلي القضاء .

وتشترط الوثيقة فى موضع آخر أن تبدى الدول العربية استعدادها للتفاوض مع اسرائيل للوصول الى هذه المبادئ ، أى أن حكومة مصر فى ذلك الوقت قد ارتضت لنفسها أن تشترط على الدول العربية أن تبادر بإعلان استعدادها للتفاوض مع إسرائيل على أساس أنها ستقبل الاعتراف الكامل بها .. بعد هذا أصبحت الدعوة الى الاعتراف بإسرائيل خطأ رئيسيا فى السياسة العربية والدولية لحكومة مصر ، تضع وراءها كل ثقلها وتدافع

. 9 .

عن الاعتراف بإسرائيل على كل المنابر الداخلية والعربية والدولية ، ورفض العرب كل العرب هذه الدعوة فكانت القضية والعزلة والانعزال .

7ـ من حسن الحظ أو من سوئه ، تتوقف النتيجة على ما يجرى فى المستقبل ، أن اتفاقيات كامب ديفيد تجاهلت تماما منظمة التحرير الفلسطينية من حيث هى ثورة ومن حيث هى منظمة سياسية تمثل الشعب الفلسطينى " لا " لم تتجاهلها فقط بل استبعدتها أيضا .

تنص اتفاقيات كامب ديفيد تحت عنوان " إطار السلام والشرق الأوسط" على أنه :

"1ـ ينبغى أن تشترك مصر وإسرائيل والأردن وممثلوا الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها " على مراحل تنتهى بإقامة " سلطة حكم ذاتى ـــ مجلس إدارى ـــ فى الضفة الغربية وغزة فى أسرع وقت ممكن " بعدها تبدأ فترة انتقالية مدتها خمس سنوات فى نهاية الخمس سنوات تجرى " المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها "وإبرام معاهدة سلام بين الأردن واسرائيل " وتقول الوثيقة :

ستقرر هذه المفاوضات ضمن أشياء أخرى وضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن ، ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروطة للشعب الفلسطينى ومتطلباتهم العادلة ، ماذا كانوا يعنون بالشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة ومتطلباتهم العادلة ؟ لم يترك الصهاينة والأمريكيون فرصة لأحد ليفسر هذه الكلمات كما يريد . فأضافت الوثيقة :

بهذا الأسلوب سيشارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم لأن (1) ممثلى السكان فى الضفة الغربية وغزة سيشتركون فى المفاوضات مع مصر واسرائيل والأردن على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة . ولأن (2) ما يتفقون عليه سيعرض على التصويت من جانب المنتخبين من السكان فى الضفة الغربية وغزة . ولأنه (3) ستتاح الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان فى الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التى سيحكمون بها أنفسهم

تنفيذا لاتفاق الحكم الذاتى ، ولأنهم (4) سيشارك ممثلو السكان فى الضفة الغربية وغزة فى المفاوضات بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن .

وحتى لايثور أى لبس فيما تعنيه اتفاقيات كامب ديفيد بالشعب الفلسطينى وماتعنيه بحقوقه المشروعة ، نصت الوثيقة على أنه فى خلال فترة الانتقال :

" يشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى لجنة لتكون صلاحيتها الموافقة بالإجماع على السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة عام 1967 مع اتخاذ الإجراءات الضرورية لمنع الاضطرابات وأوجه التمزق ".

وهكذا استبعدت اتفاقيات كامب ديفيد من دلالة الشعب الفلسطينى الذين تركوا فلسطين قبل 1967 كافة ، والذين تركوها بعد 1967 ولكن لم يطردوا ، والذين طردوا بعد 1967 وترى اسرائيل أن عودتهم تسبب الاضطراب ، وانحصر الأمر فى الشعب الفلسطينى المقيم فى الضفة الغربية وغزة .

ولقطع سبل التأويل والتفسير نهائيا على ما تعنيه كلمة الشعب الفلسطينى وحقوقه المشروطة ، ألحقت باتفاقيات كامب ديفيد وأصبحت جزءا لايتجزأ منها رسالة موجهة من مناحم بيجين الى جيمى كارتر رد عليها الرئيس الأمريكى يوم 22 سبتمبر 1978 برسالة تقول :

" احيطكم علما بأنكم أبلغتمونى بما يلى (أ) أنكم ستفسرون وتفهمون عبارة " الفلسطينيون " أو " الشعب الفلسطينى " الواردة وكل فقرة من وثيقة إطار التسوية المتفق عليها باعتبارها تعنى " عرب فلسطينيون " .. (ب) أن الحكومة الاسرائيلية تفهم وتفسر تعبير " الضفة الغربية " فى أى فقرة ترد فيها فى وثيقة إطار التسوية على أنه يعنى يهودا والسامرة"..

8ـ كل شئ يقترب من النهاية ، حكومة مصر اعترفت بإسرائيل وحملت مسئولية الدعوة إلي الاعتراف بها ، والقطيعة الحتمية بين مصر وأمتها العربية كفيلة بأنها تكشف عجز الدول العربية فى غيبة مصر . عجزها حتى عن الدفاع عن أمنها الداخلى أو الخارجى ، بقيت الثورة الفلسطينية.

إذا كانت اتفاقيات كامب ديفيد قد استبعدت منظمة التحرير الفلسطينية ، ودعت الدول العربية لبنان والأردن وسوريا لاعتراف ، فإن اعتراف تلك الدول لن ينهى الثورة لأنه ليس حجة عليها ولا هو ملزم بها ، لابد إذن من إقناع منظمة التحرير الفلسطينية ، بأشد وسائل الإقناع وحشية بالتخلص من هويتها الثورية وقبول الاعتراف باسرائيل . وحبذا لو أدت تلك الوسائل ذاتها ـ توفيرا للتكلفة ـ الى حمل لبنان ، المشار اليها فى اتفاقيات كامب ديفيد على الاعتراف باسرائيل . حينئذ يمكن دعوة الأردن لتعلب دور المفاوض المشار اليه فى كامب ديفيد . أما سوريا فيساتى دورها حين تجد نفسها وحيدة عاجزة ، وحيدة وعاجزة عن تغير الاتجاه العربى الى الإعتراف . إذن هذا يقتضى أن يكون الاتجاه قويا الى درجة تجرف سوريا أيضا . ويمكن ذلك باتفاق جماعى أو شبه جماعى من الدول العربية على الإعتراف باسرائيل ولو اعترافا ضمنيا ، الخطوة الأولى مؤتمر عمان حيث يتم الاتفاق على اختيار الحل السلمى والتنازل عن الخيار العسكرى ، الخطوة الثانية مبادرة الملك فهد التى تتضمن استعدادا خجولا لاعتراف الضمنى باسرائيل ، الخطوة الأخيرة فى مؤتمر فاس حيث تم الاتفاق الصريح على الأعتراف الضمنى باسرائيل .

إلى أن يتم هذا تغزو إسرائيل لبنان بقوة عسكرية معدة لتعرية سوريا فيما لو حاولت التصدى لها . وتحاصر إسرائيل منظمة التحرير الفلسطينية فى غرب بيروت وتظل تدك المدينة بكل أنواع الأسلحة مؤجلة اقتحامها من اسبوع الى اسبوع ، هناك كان السد الذى أقيم على طريق الثورة الفلسطينية ولقد كان سدا ماديا أحاط بها من البر والبحر والجو ، وحينما ارتبطت الثورة بالسد تلفتت حولها فوجدت أن كل الاصدقاء والحلفاء والأعداء على المستوى العربى والدولى ينتظرون منها الجواب على السؤال الصعب : ماذا تفعل ؟ ولايفعلون شيئا . وذهب اليهم عملاء الولايات المتحدة يطلبون منها الإعتراف باسرائيل فأعطاهم أبو عمار قصاصة ورق ذات صيغة غامضة ، يحاول فيها أن يوهم الجميع بانه على استعداد ليعطى مايعرف تماما أنه مطلوب منه : الإعتراف ، وحالت بطولة مقاتلى الثورة وحلفائها من القوى الوطنية اللبنانية والعربية والإسلامية دون إمكان عقد الصفقة خلال الحصار فاكتفت الولايات المتحدة الآمريكية بتجريد

. 12 .

مقاتلى الثورة من أسلحتهم وتوزيعهم فى عدة دول عربية فى مخيمات أخرى من الأسلاك الشائكة أسموها معسكرات ، ثم جاء دور منظمة التحرير الفلسطينية المطلوب استمرار

وجودها الى أن تعترف ، فأتيح لها أن تقفز من فوق السد وتخرج من بيوت فى حماية الأساطيل والقوات العسكرية الأمريكية وحلفائها .

9. هنا انتهى دور الأدوات والعملاء والتابعين فتقدمت الولايات المتحدة الأمريكية الى مركز قيادتها الذى مارست منه حقيقة التخطيط لكل ماحدث ، وتوفير وسائل تنفيذه ، تقدمت علنا لتطلب بنفسها ، لأول مرة فى تاريخ الصراع ، أن تعترف منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل . قدرت الولايات المتحدة أن ماحدث فى بيروت وصابرا وشاتيلا وماحدث قبله كفيل بأن يقنع منظمة التحرير الفلسطينية بالإعتراف باسرائيل فطلبته فيما عرف بمبادرة ريجان ... وبدأت اجراءات تلقى الاعتراف عن طريق الصيغة التى تم الاتفاق عليها فى كامب ديفيد ، يتولى الأردن التفاوض والصلح والإعتراف باسرائيل على وجه يلزم الشعب الفلسطينى إذ ما دخل الشعب الفلسطينى فى دولته ، وما يزال العرض مستمرا .

فتطوف بالعالم اليوم دعوة موجهة الى منظمة التحرير الفلسطينية تحرضها على الإعتراف بإسرائيل اعترافا مبادرا أو متزامنا ، وتصاغ الدعوة صيغة مستعجلة ومتوترة فى مصر العربية بالذات .

ما هو هذا الإعتراف ولماذا يدعون إليه بمثل هذه الحرارة ولماذا يوجهونه الى منظمة التحرير الفلسطينية وماهى الآثار التى يمكن أن تترتب عليه ؟.

ماهية الإعتراف :

10ـ الإعتراف كلمة مضللة لأنها بذاتها ناقصة الدلالة ولاتكمل دلالتها إلى نسبتها الى موضوع . فهى بذاتها تعنى ـ لغويا ـ الإقرار على النفس ، أما مضمون الإقرار فينتظر تكمله تفصح عنه . وهكذا تؤدى كلمة الإعتراف وظيفة مباحة لأى مضمون ، فالإعتراف قد ينصب على الشئ وقد ينصب على نقيضه ، من هنا يصبح من المجال الموثوق لمعرفة الدلالة الكاملة

. 13 .

للإعتراف فى مضمونه ، وكلما كان المضمون واضح الدلالة كان الإعتراف واضح الدلالة ، مثلا ، الإعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين جملة تبقى غير ذات دلالة إلى أن

نعرف من صاحبها ماذا يعنيه على وجه التحديد بالحقوق ، وبالمشروعة وبالشعب ، وبفلسطين . ثم أن كلمة الإعتراف تضلك من ناحية أخرى حتى لو انصبت على مضمون محدد . ذلك لأنها اقرار على النفس بوجود المضمون ولكنها لا تتضمن تحديدا لموقف صاحبها من المضمون الذى أقر به ، فالإعتراف بوجود اسرائيل كالإعتراف بالأمر الواقع لايعنى موقفا محددا منها رافضا أو قابلا ، فمثلا لايوجد عربى واحد أو حتى غير عربى ينكر أن اسرائيل موجودة . وهل كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقاتل مطاحن الهواء أم كانت تعانى وجودا صهيونيا على أرض فلسطين اسمه اسرائيل ، كذلك لم تكن الدول العربية تحارب عدوا موهوما كما تفعل الجيوش والمناورات العسكرية بل كانت تحارب وجودا عسكريا نشيطا هزمها أكثر من مرة . ولم تكن الأجيال العربية المتعاقبة تعانى من كابوس ثقيل يتلاشى بمجرد اليقظة بل كان القتال العربى كله ، على مدى أجياله المتعاقبة يدفع عدوانا متجسدا فى مؤسسة صهيونية يقال لها اسرائيل .

هذا بالإضافة الى أن اسرائيل نفسها لم تترك فرصة واحدة دون أن تنتهزها لتذكير كل عربى بوجودها ولو بأكثر الوسائل قسوة ووحشية .

نحن جميعا ، إذن ، نعترف بإسرائيل بمعنى إننا لاننكر وجودها ، فما هو الإعتراف الذى يدعوننا إليه . لابد أن يكون اعترافا بمضمون مختلف عن وجود اسرائيل .

إنه الإعتراف " بدولة " إسرائيل وهو أمر مختلف تماما عن الإعتراف " بوجود " إسرائيل . ذكر بهذه التفرقة رئيس مجلس الدولة الصينى فيما نشرته الصحف يوم 23 ديسمبر 1982 حينما قال فى المؤتمر الصحفى المشترك مع رئيس جمهورية مصر العربة أن مسالة وجود دولة شئ والإعتراف بهذه الدولة شئ آخر ويخضع لتقديرات أخرى ، ليست هذه حكة صينية ولكنها بدهية دولية .

11. ذلك لأن الاعتراف الذى يعرفه العالم مصطلح من مصطلحات

. 14 .

القانون الدولى العام ، ذلك القانون الذى ينظم العلاقات فيما بين الدول كاملة السيادة . ومن هنا نعرف الشرط الأول للإعتراف وهو أن يكون صادرا عن دولة ومنصبا على دولة ، أى انه يصدر وينصب على مايسمونه أشخاص القانون الدولى وهى الدول . والدولة كما هو

معروف لاتقوم الا بقيام عناصرها الثلاثة : إقليم معين وشعب معين وسلطة تمثل سيادة الشعب على الأقليم ، الشرط الثانى ألا يكون وليد إكراه كما حدث عام 1918 حينما أكره الحلفاء ألمانيا على الإعتراف بتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا لأن الإكراه يبطل الإرادة ، والخضوع له يمس السيادة ، الشرط الثالث ألا يكون مشروطا بمعنى أن ينصب الإعتراف على الدولة المعترف بها كما هى شعبا وإقليما وسيادة ، فإن جاء مشروطا لايعد اعترافا وإن اعتبر وعدا بالاعتراف إلي أن تتحقق شروطه . وهذا يعنى تماما ــ فى القانون الدولى ــ أن ينصب الاعتراف على الدولة المعترف بها كما تدعى هى لنفسها شعبا أو إقليما أو سيادة .

إذا صدر هذا الإعتراف يرتب عليه القانون الدولى آثارا ملزمة لمن صدر منه الإعتراف ، ذلك لأن الإعتراف لايلزم الدولة المعترف بها بشئ خاص فى مواجهة من اعترف . أهم هذه الآثار شرعية الدولة المعترف بها فى مواجهة الدولة المعترفة بحيث لايجوز للأخيرة أن تنازعها أو أن تنكر عليها سيادة شعبها على إقليمها واستقلاله بهذه السيادة وحقه فى ممارستها بالطريقة التى يراها بدون تدخل من خارجه . إن الإعتراف إقرار على الدولة المعترفة نفسها بأن الدولة المعترف بها " دولة " بكل ماتعنيه كلمة الدولة فى القانون الدولى من عناصر التكوين وشرعية الوجود . وهو إقرار نهائى . لايعنى هذا أنه غير قابل للسحب ، ولكن يعنى ان سحبه قد تعتبره الدولة عملا عدوانيا من حقها أن تدفعه بالقوة المشروعة دوليا ، ولكنه على أى حال لا ينتقص من شرعيتها التى تم الإعتراف بها .

وأخيرا فإن الإعتراف لايلزم إلا من صدر منه وليس له أية حجية فى مواجهة الدول التى لم تعترف أى أنه علاقة ثنائية ، وإن كان يمكن أن يكون علاقة جماعية حين تعترف مجموعة من الدول معا بدولة أخرى ، أو تعترف دولة واحدة بمجموعة من الدول . ولكنها فى هذه الصورة الجماعية يبقى ذا

. 15 .

حجة بين أطرافه المتعددين ولايحتج به على من لم يشترك معهم فى الاعتراف .

هذا هو الإعتراف الذى يدعون منظمة التحرير الفلسطينية إلى اصداره إقرارا على نفسها بشرعية إسرائيل ، وتطوف دعوته اليوم أرجاء الدنيا ، فهل هو ممكن أم هو مستحيل ؟..

الاعتراف المستحيل :

12ـ فى هذا الموضع من حديثنا نريد أن نثبت أن دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الإعتراف بإسرائيل هى دعوة الى المستحيل ، ليس المستحيل ماديا ، أى استحالة أن يصدر اعتراف من المنظمة باسرائيل ، ولكن المستحيل قانونيا ، بمعنى ان القانون الدولى لا يطلب ولا يعتد ولا يرتب أثرا على أى اعتراف باسرائيل يصدر من منظمة التحرير الفلسطينية .

والأمر واضح .

إذا كان أول شروط الإعتراف أن يصدر من دولة كاملة السيادة ، فإن منظمة التحرير الفلسطينية ليست حكومة فى دولة فلسطينية لأن الدولة الفلسطينية مفتقدة ، فلسطين الأقليم تحتله الصهيونية وتقيم عليه مؤسسة تسميها اسرائيل . والشعب الفلسطينى بعضه لايقيم على اقليمه والبعض الآخر يقيم على الاقليم المحتل تحت سلطة الصهاينة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية لاتمارس أية سلطة تشريعية أو تنفيذية أو قضائية أو إدارية فى فلسطين المحتلة لا باسمها ولا بإسم الشعب الفلسطينى . إذا ، فالشخص الدولى الفلسطينى ، أى الدولة الفلسطينية ، التى يمكن أن تطالب بالاعتراف ، ويمكن أن يعتد بالاعتراف الصادر منها ، ويمكن أن يرتب القانون الدولى على اعترافها آثارا ، غير موجودة . وبالتالى يتخلف أول شروط الاعتراف . ثم أن الاعتراف الذى يصدر من منظمة التحرير الفلسطينية لاينشئ الدولة الفلسطينية ولايقررها ، إذ أن الاعتراف قد ينشئ أو يقرر الدولة المعترف بها ، على خلاف بين مدارس فقه القانون

. 16 .

الدولى حول ما إذا كان الإعتراف منشئا أو مقررا ، ولكنه بالإجماع لاينشئ للمعترف دولة ولايقر للمعترفين بدولة ، وستبقى دولة فلسطين مفتقدة سواء اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل أم لم تعترف .

ولما كانت الآثار التى تترتب على الإعتراف هى نشوء علاقات بين الدولتين المعترفة والمعترف بها ، فإن هذه الآثار لن تتحقق لأن الطرف الفلسطينى غير قائم ، هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى فإن منظمة التحرير الفلسطينية ممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى فيما عهد به الشعب الفلسطينى اليها من مهام ، وقد كانت وماتزال قيادة

الشعب لتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيونى واسترداد الأرض المغتصبة الى شعبها ، فى حدود هذا التفويض يصح القول بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى . ويعتد بما يصدر عنها من أعمال أو تصرفات أو اتفاقيات ، ويبطل بطلانا مطلقا كل عمل أو تصرف أو اتفاق يتعلق بواقع أو مستقبل حركة تحرير فلسطين يستبعد منظمة التحرير الفلسطينية أو لاتوافق عليه مادام داخلا فى نطاق تمثيلها للشعب الفلسطينى .

أما ما يتجاوز حدود التفويض أو يناقض مضمونه فلا صفة لمنظمة التحرير الفلسطينية فى إجرائه أو الموافقة عليه .. وإن أجرته أو وافقت عليه فإنها لاتمثل فيه الشعب الفلسطينى على وطنه فلسطين ، تلك السيادة التى يمثل استردادها جوهر معركة التحرير ، فإنه يحق للشعب الفلسطينى أن يجيز ما أجرت المنظمة أو وافقت عليه باسمه ، أما إذا كان التجاوز تخليا عن مهمة التحرير أو تنازلا أو تصالحا أو تفريقا أو استسلاما أو تسليما ينتقص من سيادة الشعب الفلسطينى على أرضه فإن منظمة التحرير الفلسطينية لاتمثل فيه الشعب الفلسطينى على أى وجه بل تخون به الأمانة الى أوكلت اليها ، والخيانة غير مشروعة فلا تحدث أثرا فى حق الأصيل . وفى كل الحالات لاتملك منظمة التحرير الفلسطينية أكثر مايملك الشعب الفلسطينى كما أن الوكيل لا يملك أكثر مما يملك الأصيل .. مستحيل إذا على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعترف بإسرائيل لأنها غير

. 17 .

مفوضة فى الإعتراف ولأن الإعتراف تنازل عن هدف التحرير ، ولأنها لاتملك أكثر مما يملك الشعب الفلسطينى الذى لايستطيع بذاته أن يعترف بدولة طالما افتقد هو ذاته دولته .

مرة أخرى نقول أننا نعنى بالاستحالة الاستحالة القانونية ، أى أن اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية ليس مطلوبا وأن صدر فإن القانون الدولى لايعتد به ولايرتب عليه أثرا ، وإن كان صدوره ستترتب عليه أثار أخرى لأنه حينئذ لايكون اعترافا ولكن شيئا آخر يختفى وراء كلمة الإعتراف كما سنرى .

13. حديثنا هذا عن شروط وأحكام الإعتراف والقانون الدولى موجه الى الذين يعترفون بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى . أما الذين

ينكرون شرعية وجودها كمنظمة تحرير ويعتبرونها منظمة إرهابية . أو الذين يستبعدونها ويستبعدون الشعب الفلسطينى جملة من ان يكون صاحب قضية ، ويفضلون التعامل مع " سكان الضفة وغزة " كما يقولون أو " يهودا والسامرة " كما يقول الصهاينة ، فهؤلاء جميعا محرومون من أى حق قانونى أو سياسى أو اخلاقى فى مخاطبة منظمة التحرير الفلسطينية أو دعوتها الى الإعتراف أو عدم الاعتراف .

على رأس الذين ينكرون شرعية وجودها كمنظمة تحرير ويعتبرونها منظمة إرهابية الولايات المتحدة الأمريكية . ومن الذين لاينكرون وجودها ولكن ينكرون شرعية تمثيلها للشعب الفلسطينى بعض الدول الكبرى فى أوروبا الغربية . وعلى رأس الذين يستبعدونها الذين أبرموا اتفاقيات كامب ديفيد والتزموا بها والذين وافقوا عليها وأيدوا ابرامها .

ليس لأى من هؤلاء أن يدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف باسرائيل قبل أن يصحح هو موقفه فيعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى ، فإن فعل فإن ألف علامة استفهام تقوم أمام دعوته متسائلة عن البواعث التى تحمله على أن يطلب من منظمة لايعترف بشرعية تمثيلها للشعب الفلسطينى أن تعترف بشرعية المؤسسة الصهيونية ، إنه تناقض لابد من حله لمن يريد بدعوته أن يكون طرفا فى الحوار ولمن يريد لدعوته أن تكون محل حوار .

. 18 .

ونحن لانستطيع أن نخفى أننا نكتب هذا وفى ذهننا مثل صارخ للتناقض من موقف حكومة مصر العربية ، فلسنا نغفل عما نتمنى أن يكون دلالة إيجابية للدعوة المتكررة ، الحارة ، المتوترة فى بعض الأوقات التى تصدر من القاهرة الى منظمة التحرير الفلسطينية بقصد إقناعها بجدوى الإعتراف المبكر أو المتزامن باسرائيل . ولقد عرفنا من قبل أن حكومة مصر العربية أبرمت اتفاقيات كامب ديفيد واعترفت باسرائيل ووجهت الدعوة بالاعتراف الى ثلاث دول عربية حصرا فى صلب الاتفاقيات ذاتها هى : الأردن ولبنان وسوريا ، ثم استبعدت الشعب الفلسطينى . غير سكان الضفة الغربية وغزة . واستبعدت منظمة التحرير الفلسطينية من أى دور تمثيلى أو تفاوضى أو تقريرى له علاقة بقضية فلسطين ، انطلاقا من اتفاقيات كامب ديفيد التى لاتزال تقيد إرادة الحكومة المصرية نعتقد ، أو نحب أن نعتقد ، أن مخاطبة حكومة مصر منظمة التحرير الفلسطينية ولو لدعوتها الى الاعتراف باسرائيل هى خطوة منطلقة من أسر هذه الاتفاقيات المشئومة . إنها عودة الى الاعتراف ولو

ضمنيا ، بأن منظمة التحرير الفلسطينية ممثل الشعب الفلسطينى تملك صلاحية التعبير عنه ولو كان التعبير اعترافا . لو صح مانحب أن نعتقد فإنه خطوة ايجابية محدودة فى قضية محدودة فى زمن محدود ولكنها خطوة على أى حال الى المواقع العربية التى جرمتها اتفاقيات كامب ديفيد ، ان هذا قد يؤكد أمل الذين يرون ويعملون على الخروج بمصر نهائيا من أسر تلك الاتفاقيات التى فرضت على الشعب العربى فى مصر فرضا . ولكنه قد يؤكد النقيض تماما قد يؤكد أمل الذين يرون ويعملون على استغلال ثقل تأثير مصر والوطن العربى لجذب مزيد من العرب الى دائرة الالتزام باتفاقيات كامب ديفيد حتى من استبعدوا بها وجردوا من هويتهم الفلسطينية .

التناقض أوضح مايحتاج الى إيضاح . ولو لم تكن على الحياد لأمن قضية فلسطين ، ولا من الواقع فى مصر العربية ، فإننا ندعو مصر العربية إلى أن تحل هذا التناقض حتى لاتكون الدعوة التى تصدر منها محل شك وريبة . وحلها الجذرى هو الخروج النهائى من أسر اتفاقيات كامب ديفيد واتفاقية 26 مارس 1979 والعودة الى مركز قيادتها العربى فى معارك التحرير من الغزو الصهيونى ، إنه مركز مايزال شاغرا ينتظرها . فإن كانت حكومتها

. 19 .

لاتسمح الآن ، فلتكف من الآن ، والى ان تستطيع ، عن التدخل فى القضية الفلسطينية بتوجيه دعوة الى الاعتراف باسرائيل ، كما كفت عن الاستمرار فى الاعتراف فى مهزلة التفاوض مع اسرائيل حول ما أسموه الحكم الذاتى لشعب فلسطين فى غيبة الشعب الفلسطينى وممثليه الشرعيين .

14ـ على أى حال فإن آلاف علامات الاستفهام تتزاحم لتأخذ أماكنها المشروعة أمام كل دعوة موجهة الى منظمة التحرير الفلسطينية للاعتراف باسرائيل . ذلك لأننا لانشك لحظة فى أن كل الذين يدعونها الى هذا الاعتراف يعرفون معرفة اليقين أن الاعتراف بمفهومه القانونى والدولى غير مطلوب منها ولايعتد به أن صدر ولايحدث أثرا . وبالتالى فإننا على يقين من أنهم جميعا يستعملون كلمة " الإعتراف " ويريدون به أن يحقق أثارا أخرى غير تلك الآثار التى نظمها القانون الدولى ، أى أنه لابد أن يكون ثمة معنى آخر وآثارا أخرى للاعتراف الذى يدعون اليه . وربما تتعدد المعانى وتتنوع الآثار من داع الى آخر . ولقد قلنا من قبل أن كلمة الاعتراف مضللة فليس من المستبعد أن تضلل صاحبها ، لهذا علينا أن نكون مستعدين لاكتشاف اختلاف المواقع التى تصدر منها الدعوة الى الاعتراف وأن نبحث عما

وراءها فى كل موقع على حدة . فقد نجدها صادرة من موقع عداء ، أو من موقع رجاء ، أو حتى من موقع رياء .

وحين تكون الدعوة صادرة من موقع عربى ، دولة أو حزب أو منظمة أو فرد ، فمن الفطنة أن تكون محل بحث قبل أن تكون موضع محاكمة ، فلعل كثيرا من العرب يدعون منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف باسرائيل من موقع الرجاء . حينئذ علينا أن نعرف ما الذى يرجونه من وراء هذه الدعوة ؟ وهل يرجونه لأنفسهم أو لغيرهم ام للشعب العربى الفلسطينى ، أو على الأصح ما الذى يرجوه كل واحد على حدة ، ومن المفيد جدا لقضية تحرير فلسطين أن يكشف كل عربى يدعو منظمة التحرير الفلسطينية عن حقيقة ما يرجوه من وراء الاعتراف ، بدون خجل وبدون احتيال وبدون " فهلوة " أيضا ، ومن الفهلوة التى تحتقر العقل العربى الدعوة الى أن يكون الاعتراف ضمنيا وليس صريحا كما جاء فى بعض المبادرات كما يسمونها . لأنه لا فارق فى الشروط ولا فى الآثار بين الاعتراف الضمنى والاعتراف الصريح فى حكم القانون الدولى وإنما الفارق فى صيغة التعبير عن إرادة الاعتراف .

. 20 .

هذا يعنى أننا نكون مطالبين بافتراض حسن النية . والواقع أننا فى بعض الحالات نكاد نكون مكرهين على افتراض حسن النية حفاظا على وحدة الثورة الفلسطينية ، فعندما تصدر قيادة احدى فصائل الثورة الفلسطينية الممثلة فى اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التى يحتل قائدها مركزا فى اللجنة التنفيذية ، تصدر بيانا صارخا تقبل فيه الاعتراف باسرائيل وتدعو اليه رفاق السلاح تحتاج الى أكبر قدر من شجاعة الصبر لنتذكر أنه لم يأت بعد الوقت الملائم لحديث عن الثورة من الداخل . وأن المرحلة الراهنة هى مرحلة التشبث بمواقف الدفاع عن الثورة ككل ضد ما يأتى من خارجها لينال منها أو يحبط أهدافها التى التزمت أما الشعب العربى الفلسطينى بتحقيقها فأسلمها من أجل التحرير قيادته ، وقدم دماءه الغالية ثمنا لم يقبض مقابله بعد ، أما حين يأتى الوقت الملائم فسيكون لكل حدث حديث .

15. إذا افترضنا حسن النية راضين أو كارهين فإن الذى يغلب على الظن أن يكون الباعث على الدعوة الى الاعتراف باسرائيل تقييم الاعتراف بأنه خطوة تكتيكية ومرحلية تقتضيها الظروف العربية أو الدولية الراهنة ، ولاتضر بهدف تحرير فلسطين الاستراتيجى ، إذا صح

هذا التقييم فإن المثالين الفاشلين وحدهم هم الذين يحرمون الثورة من المقدرة على اتخاذ المواقف التكتيكية التى تفرضها ظروف المرحلة مادامت لا تتناقض ولاتضر بالهدف الاستراتيجى للثورة . هم الذين ينكرون على الثورة حقها " المطلق " وأن تستفيد فى تحديد خطواتها التكتيكية بالمقولة العلمية : أن أول شروط المقدرة على تغير الواقع هو التعامل معه كما هو . وبالمقولة العلمية بأنه لايجوز التعامل مع الواقع الجزئى وعزله عن الواقع الكلى ، وبالمقولة العلمية بأن الواقع متحرك أبدا متأثر بغيره مؤثر فيه أبدا متغير أبدا وبالمقولة الحكيمة بأن السياسة هى فن تحقيق الممكن فى زمانه ومكانه .. الخ . كل هذا مسلم .

ولكن كيف يمكن التأكد من أن " الإعتراف " التكتيكى لن يضر الهدف الاستراتيجى ؟.

. 21.

بمعرفة ماهو الهدف الاستراتيجى للثورة الفلسطينية .. أليس كذلك ؟.. بلى .

المبدأ والاستراتيجية والتكتيك

16ـ ليس لهذه الكلامات المهيبة : المبدأ والاستراتيجية والتكتيك أى معنى إلا إذا كانت منسوبة الى واقع معين ، ومن حسن الحظ أن الواقع المعين فى خصوصية فلسطين ليس محل خلاف بين العرب ، فلسطين أرض مغتصبة من الشعب العربى ، فلسطين ليست محتلة أرضا وبشرا كما كان الوضع قبل عام 1948 ، بل فلسطين الأرض اغتصبت واخليت من الشعب العربى إلا قليل واستوطنها الصهاينة الغاصبون وأقاموا عليها دولة أسموها إسرائيل .. إن واقعها قريب الشبه بالواقع الأسترالي والأمريكى بعد ابادة البشر إلا قليل وإقامة مجتمعات ودول من المهاجرين عليها . ينحصر الفرق فى أن الشعب العربى لم يبد ولكنه يحيط بأرضه المغتصبة أحاطة كثيفة يريد استردادها .

هذا هو الواقع من وجهة نظر عربية ولاتختلف الرؤية الصهيونية لهذا الواقع عن الرؤية العربية الا فى التقييم . فلسطين أرض إغتصبها العرب من الشعب اليهود منذ الفتح الإسلامي ، فلسطين لم تكن محتلة أرضا وبشرا قبل 1948 ، بل فلسطين أرض أغتصبت منذ أربعة عشر قرنا واخليت من الشعب اليهودى الا قليل واستوطنها العرب الغاصبون وضموها الى دولة أسموها دولة الخلافة سلمتها للإنجليز. إن واقعها كان قريب الشبه

بالواقع الاسترالى والأمريكى بعد إبادة البشر وإقامة مجتمعات ودول من المهاجرين إليها . ينحصر الفرق فى أن الشعب اليهودى لم يبد ولكنه تشتت فى أقطار الأرض الى أن قادته الحركة الصهيونية الى فلسطين لاستردادها خالية من البشر فاستردها وأقام دولته عليها ، وأسماها إسرائيل .

لاخلاف إذن أن الصراع العربى الصهيونى يدور حول أرض فلسطين لمن تكون . طبيعى أن واقعا متجددا أضيف إلى هذا الواقع غير المختلف عليه نتيجة الصراع ذاته ، فانتصار الصهيونية وإخلاء الأرض أسفر عن طرد أغلبية الشعب العربى من فلسطين فأقاموا حيث أقاموا ويقيمون خارجها وشكلوا بذلك واقعا إنسانيا واقتصاديا واجتماعيا مضافا الى الواقع الأصيل .

. 22 .

وانتصار الصهاينة فى إقامة دولة أسفر عن إعتراف كثير من الدول بها وعقد تحالفات مع دول كبرى وغير كبرى تساندها كل بما تستطيع ، وانتصار الصهيونية عسكريا عام 1956 أسفر عن احتلال سيناء. وانتصار العرب سياسيا عام 1956 أسفر عن استعادة سيناء وفقد المياه الإقليمية فى خليج العقبة ، وانتصار الصهيونية فى عام 1967 أسفر عن اكمال اغتصاب فلسطين (الضفة وغزة) وإغتصاب المرتفعات السورية (الجولان) واحتلال سيناء وانتصار العرب فى 1973 أسفر عن استرداد سيناء ماعدا طابا أرضا والانتقاص من السيادة العربية عليها واعتراف حكومة مصر باسرائيل وهزيمة العرب عام 1982 أسفرت عن احتلال جنوب لبنان .. الخ .

كل هذا حدث وغيره كثير من الأحداث والمتغيرات العسكرية والسياسية والفكرية التى تراكمت على المستويات الفردية والجماعية والدولية ، فلسطينيا وعربيا ودوليا .. نتيجة تطورات الصراع وتطورات . الظروف التى يدور فيها على مدى مايقرب من نصف قرن .

والمطلوب أن نعرف ماهو استراتيجى وماهو تكتيكى من بين هذا الركام...

17ـ المبدأ أو (النظرية) التى ينطلق منها الصراع هو الذى يحدد الهدف الاستراتيجى ، تعنى الهدف النهائى للصراع . ويتحدد المبدأ الذى يدور حوله الصراع كما هو لاخلاف عليه بين طرفى الصراع : أرض فلسطين لمن تكون ، للعرب أم للصهاينة ؟ الذين يجيبون أو

الـذين أجـابوا على هـذا السـؤال المبـدئ بـأن أرض فلسـطين للصهاينة يخرجـون مـن حلبـة الصـراع أو الحـوار بـدون حـديث عـن الاسـتراتيجية أو التكتيـك أو يـدخلون حلبتـه ليقومـوا بمهمـات وأدوار تكتيكيــة فى خدمــة الاســتراتيجية والصــهيونية . هــذا بصــرف النظــر عــن أجناسـهم أو أديـانهم وحتى لـو كانوا عربـا . أمـا الـذين يجيبـون أو الـذين أجـابوا بـأن أرض فلسـطين للعـرب فـأنهم يخرجـون مـن الصـراع أو الجـوار بـدون حاجـة مـن الحـديث عـن الاسـتراتيجية أو التكتيـك أو يـدخلون حلبتـه فيكـون مـن حقهـم المشـاركة فى الحـوار حـول الهدف الاستراتيجى للنضال العربى وعلاقة الإعتراف التكتيكى بهذا الهدف .

. 23 .

نريـد أن نقـول بـأكبر قـدر مـن الوضـوح أن معرفـة مـا اذا كان الاعتراف باسـرائيل خطـوة تكتيكيـة لا تضـر بالهـدف الاسـتراتيجى لمنظمـة التحريـر الفلسـطينية لايمكـن أن تـتم الا فى نطاق مبدأ ، أو نظرية ، أن أرض فلسطين من حق الشعب العربى .

لماذا نقول هذا ونركز عليه ؟ لأن مع تراكم المتغيرات التى تحولت الى واقع خلال الصـراع العربى الصـهيونى تحولت كثيرا من الأهـداف التكتيكيـة بالنسـبة الى هـدف تحريـر فلسـطين الى أهـداف اسـتراتيجية بالنسـبة الى أصحابها . تحريـر جنـوب لبنـان مثلا هـدف اسـتراتيجى بالنسـبة الى الكتـائبيين وهـو هـدف تكتيكي بالنسـبة الى تحريـر فلسـطين ، تحريـر المرتفعـات السـورية وسـيناء هـدفان اسـتراتيجيان بالنسـبة الى الأقليمـين السـوريين والمصـرين وهـدفان تكتيكيـان بالنسـبة الى هـدف تحريـر فلسـطين . كذلك اسـترداد غـزة والضـفة الغربيـة هـدف اسـتراتيجى بالنسـبة الى الإقليميين الأردنيين ولكنـه هـدف تكتيكى بالنسـبة الى هـدف اسـترداد فلسطين للشعب العربى الذى قامت الثورة الفلسطينية من أجله .

ولعلـه ممـا يوضـح هـذا الموقـف " حركـة تحريـر فلسـطين " (فـتح) التى تعتبر القـوة القـائدة الرئيسية فى منطقة التحرير الفلسطينية عسكريا وسياسيا ، هذه المنظمة أنشئت ثم بدأت نشـاطها الثـورى فى أول ينـاير 1965 . فى ذلك الوقت لم يكن قـد تم احتلال جنـوب لبنان أو المرتفعات السورية أو الضفة الغربية أو غزة أو سيناء . نشأت وبدأت الثورة من أجل هدف اسـتراتيجى محـدد : اسـترداد أرض فلسـطين التى اغتصـبت عـام 1948 . على مـدى الصـراع وسـاحته تراجعـت قواتهـا الرئيسـية ومركز قيادتهـا من الضـفة وغـزة الى الأردن بعـد 1967 ثـم مـن الأردن الى لبنـان بعـد 1970 ، مـن لبنـان الى حيـث هى الآن عـام 1982 ، كـل هـذه

التراجعات بالنسبة الى هدفها الاستراتيجي تراجعات تكتيكية لأنه لم يحدث أبدا أن استردت فلسطين المحتلة عام 1948 ثم عادت فسلمتها الى الصهاينة ليعيدوا بناء دولة اسرائيل عليها ، كما لم يحدث أن كفت عن النضال منتصرة أو منهزمة متقدمة أو متراجعة من 1965 . وينطبق هذا بشكل عام على منظمة التحرير الفلسطينية ، كان ، وما يزال هدفها الاستراتيجي استرداد كامل أرض فلسطين .

. 24 .

والمفروض ، ولو من قبيل الأمانة مع النفس أن الذين يوجهون الى منظمة التحرير الفلسطينية الدعوة الى الاعتراف باسرائيل " معتقدين " أن الاعتراف خطوة تكتيكية لاتضر بالهدف الاستراتيجي أن يكون إعتقادهم هذا (صح أو لم يصح) قائما على نسبة الإعتراف الى الهدف الاستراتيجي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، أى استرداده كامل أرض فلسطين من قبضة الصهيونية الغاصبة . أما إذا كانوا يدعونها الى الاعتراف كخطوة تكتيكية الى مادون هذا من أهداف تعتبر بالنسبة إليهم استراتيجية مثل الجلاء عن جنوب لبنان ، أو تحرير المرتفعات السورية ، أو تحرير الضفة الغربية وغزة أو ماهو دون ذلك من أهداف يعتبرونها هم أهدافا تكتيكية حتى بالنسبة الى أهدافهم الاستراتيجية ، مثل كسب الرأي العام العالمى ، أو وضع العالم أمام مسئولياته ، أو الحوار مع أمريكا ، أو السلام فى الشرق الأوسط .. الخ ، فليس مطلوبا منهم إلا " الإعتراف " بأنهم يريدون لمنظمة التحرير الفلسطينية أن تعقد صفقة تبيع فيها هدفها الاستراتيجي فى مقابل هدف تكتيكى بالنسبة إليها حتى ولو كان هدفا استراتيجيا بالنسبة الى أصحاب الدعوة . أو ماهو أدهى من هذا ، أن تبيع هدفها الاستراتيجي مقابل هدف تكتيكى بالنسبة إليهم .

إذا لم يعترفوا بهذا فإنها " جريمة احتيال " بالغة الغباء ، إذ الأغبياء وحدهم هم الذين يتصورون أن شعبا له مثل وعى وخبرة وقيادة الشعب العربى الفلسطينى سيبيع جزءا من وطنه مقابل جزء منه ، أو مقابل . وهذا هو الاحتيال . أن يحققوا أهدافهم الخاصة .

18ـ بعد استبعاد " المحتالين " من دائرة الحوار لانستبعد أن يكون من أصحاب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية من ضللته الكلمات فاعتقد صادقا مع نفسه أن اعتراف المنظمة باسرائيل لا يضر بهدفها الاستراتيجي . هؤلاء وحدهم هم الذين قد يكونوا من حقهم دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف باسرائيل ، ويستحقون الحوار معهم حول ما يعتقدونه من أن هذا الاعتراف لا يضر بالهدف الاستراتيجي . مصدر استحقاقهم

أنهـم ينطلقـون مـن مبـدأ أن أرض فلسـطين لشـعبها العربى وأن الهـدف الاسـتراتيجى هـو استردادها كاملة للشعب العربى .

. 25 .

إلى هؤلاء نقول : عندما يتحدد استرداد كامل التراب العربى فى فلسطين هدفا استراتيجيا يجب أن تسقط المثالية الفاشلة التى توهم ذاتها بأن ما تريد أن تحققه فى الواقع سيتحقق لمجـرد إنهـا تريـد أن تحققـه . فهنـا ، بعـد تحديـد الهـدف الاسـتراتيجى ، يـأتى دور المواقـف والخطوات والمراحل التكتيكية ، وليس للمواقف أو الخطوات أو المراحل التكتيكية صيغة معينة سلفا ، أو مضمون محدد من قبل ، تلتزم به الحركة النضالية مقدما وهى فى طريقها الى هدفها الاستراتيجي ، التقدم قد يساوى التوقف قد يساوى التراجع قد يساوى الالتفاف فى مـدى ضـرورته لتحقيـق الهـدف الاسـتراتيجى الكلمـة قـد تسـاوى البندقيـة ، والمعـارك السياسية قد تكون أكثر لزوما من المعارك العسكرية فى سباق النضال من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجى ، نعنى أنه لايمكن حصر المواقف والخطوات والمراحل التكتيكية التى تترجم الخطـوط الـلا سـتراتيجية . تلـك الخطـوط التى تـربط بـين " المبـدأ " وبـين " الهـدف الاستراتيجى " ذلك لأنه على المستوى التكتيكى تدور المعارك الفعلية ، الفكرية والحركية ، السلمية والعنيفة ، السياسية والثورية ، المحلية والدولية ، ويلتحم المتصارعون ويتعدد الأطراف بحيث لا يستطيع أى طرف أن ينفرد باتخاذ موقف أو خطوة تكتيكية غير متأثر بـالموقف أو المواقـف التكتيكيـة المضـادة أو حتى الحليفـة، ولا أن يسـتعمل سـلاحا فكريـا أو دعائيـا أو سياسـيا أو قتاليـا بعيـد عـن قيـاس مضـائه الى مضـاء الأسـلحة التى يواجهـا . باختصار يمثل المستوى التكتيكى المبدأ المرن للمناورة وفيه تتجلى كفاءة المناضلين والقادة ، لا فى القتـال فقـط ، ولكـن أيضـا فى المهـارة فى مواجهـة المواقـف الطارئـة ، والأفخـاخ المنصوبة ، والخدع المموهة ثم الملائمة بين تحركاتهم وتحركات القوى المضادة ، وتتوقف تلك المهارة الى حد كبير على الإدراك الثابت بأن الهزيمة أو النصر لايتم قط ، ولم يتم قط على مدى تاريخ الشعوب ، فى معركة تكتيكية أو مرحلية . إنما تتم هزيمة طرف حين يتنازل عن هدفه الاستراتيجى أى يستسلم .

وفى تـاريخ فلسـطين بالـذات دليـل على مـانقول . فمـن قبـل هزمـت ثـورة 1920 و1921و 1935 و1939 ، وفى 1948 و1967 تخلى الكثيرون مـن الشـعب العربى فى فلسـطين عـن الأرض وغادروها منهزمين ولكنهم لم يلبثوا

أن تحولوا خارج الأرض الى منظمات مقاتلة بدأت آخر ثوراتها من اجل تحقيق الهدف الاستراتيجى فثبت أن كل الهزائم السابقة كانت هزائم تكتيكية لم تحل دون العودة الى النضال من جديد .

وفى تاريخ الصراع العربى الصهيونى أدلة كثيرة . لقد هزمت الدول العربية عام 1948 وعام 1956 وعام 1967 . وهزم الصهاينة عسكريا عام 1973 . وكانت كلها معارك تكتيكية . كانت كل معركة تؤكد السمة التكتيكية للهزيمة فى المعركة التى قبلها الى أن أعلنت حكومة مصر العربية أن معركة 1973 هى آخر الحروف وكان لابد لها وقد تنازلت عن خيار الحرب أن تقبل ما تقدم لها بشروطه . فكانت اتفاقية 26 مارس 1979 هزيمة للسادات وحكومته لم يقبلها الشعب العربى فى مصر قط .

وفى تاريخ الصراع العالمى . تخلى الروس عن الأرض وحرقوها ودمروها متراجعين أما نابليون وأمام هتلر ، وتراجعت قوى الحلفاء حتى انحصرت فى الجزيرة البريطانية ، وكانت كلها هزائم وتراجعات ومعارك تكتيكية لم تؤثر فى انتصار الهدف الاستراتيجى ، لروسيا ضد نابليون وللحلفاء ضد النازية .

إذا ،

فلا حصر لما تستطيع أن تتخذه منظمة التحرير الفلسطينية من مواقف أو خطوات فى سبيل الحفاظ أو الإقتراب أو تحقيق هدفها الاستراتيجى ، بل إنها تستطيع أن تتوقف عن النضال أو تحل نفسها معلنة إنتهاء تمثيلها للشعب العربى الفلسطينى وعجزها عن الأستمرار فى الكفاح من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجى تاركة له حرية اختيار من يمثلوه أو يقودوه فى مسيرته المناضلة الى أرضه وسيكون من السهل اعتبار كل هذا خطوات تكتيكية ...

إلا الاعتراف بإسرائيل ، اعترافا صريحا أو ضمنيا ، يستحيل أن يكون خطوة تكتيكية .

لماذا ؟

19. لأن الاعتراف بإسرائيل هو إقرار ملزم بأن دولة اسرائيل بكل

. 27 .

عناصرها (الشعب والأرض والسيادة) دولة مشروعة . وعلى وجه خاص إقرار ملزم للمعترف بأن أرض فلسطين من حق الشعب اليهودى . الإعتراف هنا ليس إقرارا بالهزيمة على مستوى تكتيكى ، ولاحق إقرار بالهزيمة على مستوى استراتيجى ، لا ولا هو اعتراف بالأمر الواقع ، بل هو حسم للصراع مع الصهيونية على مستوى المبدأ ذاته .

وأن إدراك هذا لعلى أكبر قدر من الأهمية ، ذلك لأن الاعتراف بأن إسرائيل الصهيونية المدعمة بالولايات المتحدة الأمريكية غير قابلة للهزيمة الى الحد الذى يمكن فيه تصفيتها كدولة واسترداد أرض فلسطين للشعب العربى فى هذه المرحلة التاريخية ، أى الاعتراف بالأمر الواقع ، والكف عن محاولة تحرير فلسطين ، يعتبر تخليا عن الهدف الاستراتيجى. ولكنه لايحول دون العودة الى محاولة تحقيقه فى مرحلة تاريخية اخرى تكون الظروف فيها مواتيه أو مشجعة ، مثال هذا اتفاقيات الهدنة التى أبرمت فى رودس عام 1948 .

أما الإعتراف بدولة اسرائيل فهو إقرار ملزم " بالمبدأ " الصهيونى الذى وضعت على أساسه الاستراتيجية الصهيونية منذ قرن والذى ينفذه الصهاينة على مراحل تكتيكية . هذا المبدأ الذى تقوم على أساسه دولة الصهاينة كدستور وتستغنى به عن أى دستور هو : أن فلسطين هى أرض اسرائيل . فلا شبيه فى أن الاعتراف بدولة اسرائيل هو اعتراف بأن فلسطين هى أرض اسرائيل لاحيلة لأحد فى هذا ، ولايجدى أحدا أن يحاول المقارنة أو القياس فى أى حالة اعتراف يعرفها لأنه لتوجد فى العالم المعاصر حالة إغتصاب مشابهة لإغتصاب الأرض العربية . لا يوجد صراع ضد استعمار استيطانى إلا فى فلسطين ، فلا يجوز القياس فى شأن الإعتراف باسرائيل على الإعتراف بأية دولة أخرى .

فى جملة واحدة أن الإعتراف بدولة اسرائيل هو اعتراف بشرعية "الصهيونية " فهو موقف صهيونى فإذا تذكرنا أن الصهيونية ليست هى اليهودية بل هى الحركة السياسية التى تلتزم بالمبدأ الذى يقول بأن للشعب اليهودى حقا تاريخيا مشروعا فى أرض فلسطين ، وأن بعض اليهود لا

يدينون بهذا المبدأ فهم ليسوا صهاينة ولو كانوا يهودا ، وأن من غير اليهود كثيرين يقرون هذا المبدأ فهم صهاينة ولم يكونوا يهودا ، ندرك بوضوح ، ونتمنى أن يدرك أصحاب الدعوة الى الإعتراف بإسرائيل بأن اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة اسرائيل اعترافا صريحا أو إعترافا ضمنيا يحولها فورا من منظمة تحرير فلسطينية الى منظمة يهودية ، إذ بمجرد أن يصدر هذا الاعتراف ، صريحا أو ضمنيا تصبح منظمة التحرير الفلسطينية مسلمة بأن أرض فلسطين المقامة عليها دولة اسرائيل هى ملك للشعب اليهودى . هى أرض اسرائيل .

فهل يمكن أن يعتبر هذا الإعتراف " خطوة تكتيكية " لاتضر بهدف التحرير الاستراتيجى ؟ لانعتقد هذا إذ ليس بعد الاعتراف تكتيك آخر . ولكنه يمكن أن يعتبر خطوة تكتيكية بالنسبة الى الهدف الاستراتيجى الصهيونى . ذلك لأن أرض اسرائيل ، ولينتبه جيدا الذين يلعبون بنار الإعتراف الآن ، التى يعتبر استردادها للشعب اليهودى هدفا استراتيجيا للحركة الصهيونية أوسع بكثير من فلسطين . من الفرات الى النيل كما يقولون هم وكما نعلم نحن . وبمجرد أن تكسب الصهيونية المعركة المبدئية ضد العرب ، بمجرد أن يقر لها بمبدأ الحق التاريخى فى أرض فلسطين ستنتقل الصهيونية ، مدعمة بهذا الإعتراف ، الى ميدان المعارك من أجل إكمال استرداد أرض اسرائيل حتى لايبقى الحق المعترف به منقوصا ...

وأخيرا ، فلقد قلنا من قبل أن الإعتراف مصطلح من مصطلحات القانون الدولى ، لا يصدر إلا من دولة ولا ينصب إلا على دولة ، ورأينا أن هذا الاعتراف مستحيل قانونا أن يطلب أو يعتد به إذا صدر من منظمة التحرير الفلسطينية ، ماهو إذا المفهوم الذى يختفى تحت كلمة " الإعتراف " إذا صدر من منظمة التحرير الفلسطينية ؟... إن لم يكن الخيانة فهو الاستسلام . إن الدعوة التى تطوف بالعالم اليوم تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف باسرائيل هى اذن دعوة لها الى الاستسلام او الخيانة وهنا لن تستطيع أن تضلل كلمة الاعتراف أحدا .

المقابل :

20. ماهو المعروض على منظمة التحرير الفلسطينية مقابل اعترافها

. 29 .

بدولة اسرائيل ؟ لايكاد يعثر الباحث عن جواب لهذا السؤال على شئ محدد . فالواقع ماهو معروض على المنظمة هو ما يعتبره أصحابه مكاسب دعائية أو سياسية أو إنشائية . من المكاسب الإنشائية أن المنظمة بهذا الاعتراف . ستضع العالم أمام مسئوليته ، أى عالم ؟ فى العالم دول وشعوب لاتقف موقفا لا من اسرائيل ولا من منظمة التحرير الفلسطينية . وأية مسئولية ؟ إن أية مسئولية لابد أن تكون ذات مضمون ، نعنى ما الذى يعتبر العالم مسئولا عن تحقيقه إذا ما اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل ؟ وإذا أمكن تحديد هذا المضمون فما هى القوة التى ستلزم العالم بالوفاء بهذه المسئولية ؟ وإذا وجدت هذه القوة فما هو الجزاء الذى ستوقعه هذه القوة على العالم اذا لم يوف العالم بمسئوليته ؟ لايوجد جواب ، ولا يمكن أن يوجد جواب ، على أى من هذه الاسئلة . فالحصيلة جملة إنشائية رنانة التعبير ولكن أين المضمون ؟.

من المكاسب الدعائية براءة المنظمة من تهمة " الإرهاب " وإثبات أنها من أنصار السلام والعاملين عليه فى " الشرق الأوسط " وفى العالم أيضا . إن هذا المقابل يستحق أن نقف عنده ونتأمله . ذلك أولا ، لأن الحرب ذاتها عملية وحشية . قد تكون فروسية أو بطولة أو خلودا للقادة التى يديرونها ولكنها مجزرة وغير إنسانية بالنسبة الى المقاتلين العاديين من أبناء الشعب وأمهاتهم وزوجاتهم وأخواتهم وإخوتهم وأبنائهم . وتدير مخرب لحياة الذين يفلتون من الموت ليعيشوا فى الخرائب الإقتصادية والاجتماعية والنفسية التى تخلفها الحرب . إذا اضيف الى آثار الحرب أن المقاتلين مشردون ينطلقون من غير قاعدة ، ويكرون ويفرون فى غير أرضهم ويطاردون من الأعداء والأصدقاء من موقع غير مأمون الى موقع أقل أمنا ، فإننا نكون أمام نموذج غير مسبوق من المعاناة التى عاناها الشعب العربى الفلسطينى . ليس هناك شعب فى الأرض فى حاجة إلى السلام حاجة شعبنا العربى الذى يولد الأطفال فيه ليعدوا للاستشهاد . من هنا فإن هذا الشعب فى غير حاجة الى من يقنعه بضرورة السلام بإضافة سلام الشرق الأوسط أو سلام العالم الى سلامه هو.

هذا أولا ، أما ثانيا فلأن " السلام " هذه الكلمة التى تعبر عن أسمى وأنبل

. 30 .

المعانى قد امتهنت حينما اتخذت غطاءا لأبشع أنواع المواقف والمواقع ، فنحن لاننسى أن اتفاقية 26 مارس 1979 قد أسميت " معاهدة السلام"، ولا ننسى أيضا أننا حينما حملنا مع أكثر من 1500 مواطن وحشرنا فى سجن جديد فى طريق سبتمبر 1981 فوجئنا بأن الاسم الرسمى لهذا السجن كان " سجن السلام " لهذا لابد من أن نحذر حينما نستمع الى نداء السلام حتى نعرف ما هو المراد بهذا السلام .

ودليل المعرفة فى أيدينا ، فالسلام يعنى عدم القتال واعمال العنف نهائيا ، نقول نهائيا لأن توقفها مؤقتا هو هدنة أو تربص ، هذا الانعدام النهائى يتحقق فى حالتين ، الأولى عدم اللجوء الى القتال أو العنف أصلا فى محاولة فرض إرادة أحد طرفى النزاع ما على الطرف الآخر واختيار الأسلوب السلمى ، أما إذا بدأ القتال واستعمال العنف لفرض إرادة أحد طرفى النزاع على الطرف الآخر وجاء الرد قتالا عنيفا فقد اسقط المعتدى خيار السلام ، ولن يعود السلام " مؤقتا " إلا مناورة أو هدنة ، ولن يعود السلام نهائيا إلا حينما يحسم النزاع باستسلام أحد المتصارعين . أى أن يكون أحدهما قد استطاع بالقتال والعنف فرض إرادته على الطرف الآخر . حينئذ يسود السلام نهائيا ولا يحول هذا دون العودة الى الأسلوب السلمى، ولكنه فى هذه الحالة ، أى بعد الاستسلام فى معارك العنف ، يكون الطرف الذى استسلم مجردا من أهم أسباب الانتصار سياسيا وأكثرها حسما فى المعارك السلمية ، ونعنى به حق العودة الى القتال والمقدرة عليه ، تلك المقدرة التى تتيح للأساليب السياسية فرصتها الحقيقية فى أن تكون مجدية عندما تمارس فى ظل قتال مستمر كما حدث فى ثورة الجزائر وثورة فيتنام .

اذا صح هذا ، وهو عندنا صحيح ، فما هو نوع السلام الذى يراد من منظمة التحرير الفلسطينية أن تثبت اختيارها له بالاعتراف بإسرائيل لتحظى بالبراءة من تهمة " الإرهاب " التى تسندها إليها الإدارة الأمريكية ، ولتسهم به فى سلام الشرق الأوسط ، أو فى السلام العالمى ؟.

أنه ليس توقفا عن القتال واستعمال العنف ، الواقع أن هذا مستحيل حتى ولو اختارته المنظمة لأن المجرمين الصهاينة لن يكفوا عن استعمال العنف والقتال ضد الشعب العربى ، ولن تستطيع منظمة التحرير

الفلسطينية ولا أية منظمة فى العالم أن تجرد الناس من حق الدفاع عن النفس الذى يكاد يكون حقا غريزيا . وليس هو التوقف المؤقت عن القتال واستعمال العنف لإعطاء الفرصة للأساليب السياسية . فالواقع أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تترك أية فرصة للأساليب السياسية بدون أن تنتهزها ، بل وفى أكثر من مرة أعلنت " الهدنة " من جانب واحد فى القتال فى جنوب لبنان فكانت النتيجة غزوا مدمرا لجنوب لبنان وتجريدا للمنظمة من أسلحتها الثقيلة والمتوسطة وطردا لها بالقوة والعنف والقتال المتوحش من قاعدتها فى غرب بيروت . وأعتقد أن المنظمة كانت حتى مذبحة صابرا وشاتيلا على استعداد لقبول هدنة محدودة المدة لتعطى كل دعاة الحل السلمى وكل أدعيائه فرصة تجربة أساليبهم .

لا . المطلوب من منظمة التحرير الفلسطينية أن توقف القتال واستعمال العنف نهائيا . أن تستسلم . ألم تر كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية تطلب منها أن تغير نصوص ميثاقها الثورى لتتنازل كتابة وتصدق جماعيا على إسقاط هدف تحرير فلسطين ، ثم هاهى مدعوة الى الاعتراف الذى عرفنا أنه حسم للصراع على مستوى المبدأ . وبه تصبح أية محاولة عودة الى القتال من جانب منظمة التحرير الفلسطينية أو أى فصيلة منها وافقت على الإعتراف محاولة إرهابية مجردة من الحق والشرعية تقف ضدها كل القوى ، حتى التى اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية .

نعم ، لو اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية " قد " يحتويها السلام ولكن كما تحتوى القبور الجثث ، وليس ثمة سلام أكثر استقرارا من سلام الموتى . نقول " قد " لأن منظمة التحرير الفلسطينية ليست صاحبة الكلمة النهائية فى الخيار بين القتال والاستسلام . وأعتقد أن قادة المنظمة يعرفون تماما أن السلم مع اسرائيل لاينهى القتال والعنف ولا يوقف نزيف الدم بل ينقله الى ساحة أو ساحات أخرى ، وإلا فما الذى سيفعله الطلائع الذين ربتهم الثورة وتعدهم للقتال وما الذى ستفعله الكوادر التى رافقت الشهداء فى المعارك الضارية ، لا أحد يستطيع أن يشك جديا فى أن إيقاف القتال والعنف ضد العدو الصهيونى سيؤدى مباشرة الى حرب أهلية فى الشعب العربى الفلسطينى قد تمتد نيرانها فتلهب الوطن العربى كله .

. 32

ثم أن السلام فى الشرق الأوسط مستقر والحمد لله الذى لايحمد على مكروه سواه ، مستقر استسلاما أو مستقر عجزا أو مستقر جبنا .

ثـم أن السـلام العـالمى لا يقـوم إلا بتصـفية الاعتـداء وتجريـد المعتـدين مـن المقـدرة على استعمال العنـف لفـرض إرادتهم على محبى السـلام ، نعنى أن ردع وتصـفية قـوى العـدوان هو أول خطوة الى السلام العالمى . إن هذا العالم المخادع الذى يريد من العرب أن يدفعوا ثمن سلامة أمن أرضهم كان قد أنشأ محكمة دولية عسكرية لمحاكمة من أسماهم مجرمى الحـرب مـن النـازيين ، وحـاكمهم فى ثـورمبرج وأعـدم مـن أعـدم وسـجن مـن سـجن (1945 - 1946) طبقا لقانون أصدره ، تقول الفقرة 3 من المادة 6 من ذاك القانون أنه تعتبر جريمة ضـد الإنسـانية تسـتحق العقـاب الـدولى حتى المـوت والقتـل والتعـذيب والاسـتعباد والتشـريد والتصـرفات غير الإنسـانية التى تقـع ضـد أى شـعب مـدنى ، وقبـل أن يمضـى عامـان على محـاكمتهم طبقـا لقـانونهم كانـت القـوى الصـهيونية تقتـل وتعـذب وتسـتبعد وتشـرد الشـعب العربى مـن فلسـطين فـإعترف بهـا هـذا العـالم ، الـذى يـاتى الآن ليطلـب مـن المعتـدى عليهم ضحايا الجـرائم الدوليـة الإعتراف " بشـرعية " تلك الشـرائع ذاتها وتبرئة المجـرمين .. من أجل السلام .

ثـم هـذا العـالم المنـافق قـد اجتمـع ممثلـوه فى الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة وأصـدروا اتفاقيـة دوليـة يـوم 9 ديسـمبر 1948 لمنـع جـرائم إبـادة الجـنس البشـرى والعقـاب عليهـا . وحددوا من بين جـرائم إبادة الجنس البشرى المادتين 2 من الإتفاقية .." التسـبب فى إيقـاع أضرار جسـدية أو ذهنية جدية فى أفراد مجموعة بشـرية أو فرض ظروف معيشـة تؤدى بهم الى الـدمار كليـا أو جزئيـا " صـدرت هـذه الاتفاقيـة بينمـا كانـت إبـادة الشـعب العربى فى فلسطين قائمة على قدم وساق . وكان هو . هذا العـالم . يتبارى فى الإعتراف بدولة الصهاينة المجرمين . ويريد العـالم أن يعترف الشعب العربى الفلسطينى " بشرعية " إبادته ..

إن كل عربى يقـول " نعم " للسـلام العـالمى حين يقـول " لا " للاغتصـاب والعـدوان ، وألـف لا للاعتراف بشـرعية اغتصـاب أرض فلسـطين وتشـريد وإبادة شـعبها العربى ، وسـواء أعجـب هـذا الموقـف المتـاجرين بالسـلام مـن المستسـلمين أو المخـادعين أو المنـافقين أم لـم يعجـبهم ، فإننا نقول ، وسيثبت

. 33 .

التـاريخ صـحة مـانقول ، أن ثـورة الشـعب العربـى مـن أجـل تحريـر فلسـطين وتصـفية الصـهيونية العنصـرية هى أول ثـورة فى التـاريخ تقـوم وتقـدم ضـحاياها مـن أجـل السـلام

العالمى . وحين تستطيع أن تجرد المؤسسة الصهيونية من المقدرة على تهديد السلام فى فلسطين والشرق العربى تكون قد حققت السلام العالمى أكثر بكثير من هيئة الأمم المتحدة ذاتها .

21 ــ وأخيرا وليس آخرا يتحدثون عن مكاسب سياسية هائلة تتمثل فى قبول الولايات المتحدة الآمريكية الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية أو الإعتراف بها إن اعترفت المنظمة بإسرائيل . هذه الولايات المتحدة الأمريكية التى لا ينكر حتى عملاؤها والمتعاملون معها أنها المسئولة الأولى عن إقامة دولة اسرائيل على الأرض العربية وفلسطين وعن تشريد العرب من أرضهم وعن بقاء اسرائيل " حية " حتى اليوم بما تقدمه اليها من غذاء مالى واقتصادى وعسكرى ، وأنها ، أى الولايات المتحدة الأمريكية ــ هى التى تحول دون هزيمة اسرائيل هزيمة تسحقها لو تركت لقواتها الذاتية . وأنها . أى الولايات المتحدة الأمريكية . هى التى وضعت تحت تصرف اسرائيل القوة الدولية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والبشرية التى مكنتها من أن تهزم الدول العربية عام 1948 وعام 1956 وعام 1967 وتصد هجومها عام 1973 وتفتح الثغرة غرب القناة وتعود الى المرتفعات السورية ، وهى التى خططت ودعمت ما نفذته اسرائيل من غزو جنوب لبنان ومن حصار لبيروت وتدمير لها ، وهى التى زودت اسرائيل بالقوة الراجحة التى حالت دون النجدة العربية، وهى التى فرضت هيمنتها على أغلب الدول العربية من خلال علاقات تبعية واضحة أو خفية فبقيت " تتفرج " على الغزو والحصار والتدمير والقتل والتعذيب بدون أن ترفع إصبعا ، ولو من باب الشهامة ، للدفاع عن الشعب العربى فى لبنان وقواته المقاتلة . والولايات المتحدة هى التى حولت اسرائيل منذ عام 1973 الى ترسانة من أسلحة معقدة ومتطورة أخذتها لا من الفائض الأمريكي بل من مخازن القوات المسلحة الأمريكية ذاتها وأخلت بها إخلالا جسيما بموازين القوى العسكرية فى الصراع العربى الصهيونى ، وهى التى تقدم الى اسرائيل الدعم المالى والاقتصادى والفنى والدولى لبناء المستعمرات فى الأرض المحتلة

. 34 .

منذ 1967 وتعوق المجهودات الدولية التى تحاول إيقاف العدوان عند حد أو إنصاف المعتدى عليهم فى أدنى الحدود وذلك باستعمالها " الفاجر " لحق الفيتو..

إنها الولايات المتحدة الأمريكية الى قيل أنها تملك 99% من اوراق اللعبة وقيل 100% ، لا بالمعنى الذى أراده القائلون ولكن بمعنى أنها تحمل 99% أو 100% من المسئولية .. عن

اغتصاب فلسطين وتشريد الشعب العربى منها ، فهى العدو الأول للشعب العربى منها ، فهى العدو الأول للشعب العربى فى نضاله من أجل التحرير عن التبعية وتحرير الأرض المغتصبة ، والمسئول الأول عن كل قطرة دم عربية أريقت فى معارك تحرير الأرض العربية .

عندما بادرت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الى الاعتراف بإسرائيل ، كانت طرفا رئيسيا فى معاهدتين دوليتين أبرمتهما عشرون دولة . الأولى معاهدة " لاما " والثانية معاهدة " مونتفيديو " وفى كل من المعاهدتين نص يقول أن المتعاقدين يقررون بحسم وكمبدأ سلوك كل منهم التزامهم الدقيق بعدم الاعتراف بالاستيلاء على أية أراض أو أية مكاسب إقليمية عن طريق القوة .. ومع ذلك لم تتردد لحظة فى تسليح المجرمين وتمكينهم من إنجاز اغتصاب فلسطين ثم الاعتراف بدولتهم وحمايتها وجرت وراءها كل المتعاهدين .

إن العقبة الحقيقية فى سبيل الحوار المجدي مع الولايات المتحدة الأمريكية أنها هى العدو الأول وما اسرائيل الا كلب الحراسة الذى تشحذ أنيابه ليتولى حراسة مصالحها فى الوطن العربى ، فما الذى يمكن أن يؤدى إليه الحوار مع العدو ـ أى عدو ـ إلا التشكيك فى الحق وإضعاف الروح المعنوية والقتالية لدى الشعب وهى جريمة تعاقب عليها كل الدول بالإعدام ، سنرى فيما بعد كيف يجب أن يكون التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية من حيث هى العدو ، ونكتفى الآن بمحاورة الذين يتوهمون أن الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية يحقق لمنظمة التحرير الفلسطينية مكسبا كبيرا أو صغيرا .

. 35 .

لقد قلنا أن العقبة الحقيقية أما جدوى الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية أنها العدو الأول ونعرف أن كثيرا من الدول العربية لاتعجبها هذه الصيغ الجدية فى التعبير عن الواقع ويفضلون . " الاعتدال " فليكن .. فنحن نريد أن نساعد " المعتدلين " حتى يعتدلوا ..

ماهى الولايات المتحدة الأمريكية التى تهمنا ؟..

أنها ليست تلك الرقعة الفسيحة من الأرض الغنية التى تتوسط القارة الأمريكية وليس ذلك الخليط الغريب من الأجناس والشعوب والأديان والألوان ونفايات الحضارات التى حملها المهاجرين الى تلك البقعة وأقاموا من خليطها دولة . وليست ذلك الثراء الباذخ والتقدم العلمى الكبير والمقدرة العسكرية المخيفة .. وليست الولايات المتحدة هى الكونجرس

ولا الإدارة الأمريكية ولا الرئيس أيا كان رئيس الولايات المتحدة ، كل هذه العناصر المادية والبشرية التى تكون معا مايسمى الولايات المتحدة الأمريكية التى لاتهمنا ـ نحن العرب ـ فى شئ أو كان يمكن الا تهمنا فى شئ فليس فى أى من هذه العناصر ما يحمل الولايات المتحدة الأمريكية على الإعتداء على أرضنا أو على شعبنا أو يحملنا على العداوة لها ..

إنما عدونا الذى اعتدى علينا ولم يزل هو الولايات المتحدة " النظام " ومصدر العلاقة بين الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية هو ذلك "النظام " ولاتقوم اسرائيل بدور كلب الحراسة حماية لأى أمريكى ولكن حماية لذلك " النظام " إنه النظام الأمبريالى ، نعنى النظام الرأسمالى الذى أصبح إمبراطورية تشمل أغلب أقطار الأرض والذى تقوم الولايات المتحدة الاميركية بدور القيادة فيه أخيرا بعد انجلترا وبعد ألمانيا من قبل، فتبع كلب الحراسة " اسرائيل " قيادته من ألمانيا الى انجلترا الى أمريكا .

قالوا لنا ألف مرة ، ويقولون بدون ملل ، لنكن واقعيين ولندع جانبا الأفكار المجردة ولنسقط الشعارات الرنانة ولنكف عن المزايدات ، لبيهم . فلنكن جميعا واقعيين ولنتعامل مع الواقع كما هو قبل أن يحدد كل منا موقعه من هذا الواقع . والسؤال الذى نشترك فى طرحه والإجابة عليه هو : ماهو القانون الأساسى للنظام فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟ نبسط السؤال : مع ترك هامش للاختيارات الإنسانية والمعنوية ، ماهو العالم الذى

. 36 .

يحدد ، فى التحليل الأخير ، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من أية قضية ؟.. إنه " الربح " لسنا نحن الذين نقول هذا بل علم " الاقتصاد السياسى " الذى تبلغ واقعيته وبروده ، حد تجاهل المبادئ الإنسانية والأخلاقية والدينية . وما دولة الولايات المتحدة الأمريكية من أو رئيسها الى آخر " مرمطون " فى مطابخ قواتها المسلحة إلا أدوات لفتح وتوسيع وحماية الأسواق أمام النشاط الرأسمالى العالمى الذى يطلقون عليه الإمبريالية . وماكان " المعتدلون " العرب أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية لوحدة " المزاج " بينهم وبينها ، ولكن لأنهم شركاء معها أو تابعين فى نشاطات اقتصادية ومالية تحقق للولايات المتحدة الأمريكية أرباحا أو مزيدا من الأرباح وتحقق لهم " فوائد " ربوية هائلة جزاء إيداع فائض أموالهم فى البنوك الأمريكية أو ــ وهذا باعث جديد ــ لأنهم عاجزون عن إدارة اقتصاد دولهم إدارة ناجحة فوضعوه تحت تصرف الولايات المتحدة الأمريكية لعلها أن تنمى نصيبهم منه فى مقابل أن تأخذ منه نصيبها . فكلهم بدرجة أو بأخرى ، أدوات كبيرة أو صغيرة فى ذلك

الجهاز العدوانى الذى وضع الولايات المتحدة الأمريكية فى موقع العداء لمصير شعبنا .. وكلهم مضطرون الى " الإعتداء " لتغطية الانحياز ومن يحاول أن يمثل الى حيث قومه يجر الى موقع الاعتدال من أمعاء شعبه التى تقبض عليها اليد الامريكية . وهكذا ـــ ظلت بعض الأمزجة العربية "معتدلة " حتى وهى ترى رأى العين على شاشات التلفزيون مذابح صابرا وشاتيلا ، وهى تسمع سماع الأذن استغاثة العزل من الرجال والنساء والأطفال وهم يمزقون تمزيقا .

فى هذا الواقع أن " الربح " هو الذى يحدد الموقف الأمريكي ، ماهى جدوى حوار تجربه منظمة التحرير الفلسطينية مع الولايات المتحدة الأمريكية ؟ ماهى مصادر الأرباح التى يمكن لشعب مشرد ومقاتلين متفرقين فى الأرض ومنظمة أفقر من شركة امريكية أن يقدموها الى الولايات المتحدة الأمريكية ؟ .. لاشئ . لا . هناك شئ هام جدا للولايات المتحدة الامريكية من حيث هو مصدر ربح ، إنه الاستقرار للوطن العربى. الهدوء . أى المساهمة عن طريق امتناع عن الفعل فى حماية وتنمية مصادر الربح الأمريكي فى الوطن العربى . كيف يمكن هذا ؟ بأن تخمد

. 37 .

الثورة الفلسطينية ، وتتلاشى منظمة التحرير الفلسطينية ، بأن يتنازل الشعب عن وطنه لتمكين الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها وعملائها من تحقيق أكبر قدر من أرباح بهدوء .

من يشك فى هذا عليه أن يتذكر التبرير الذى قدمته الولايات المتحدة الأمريكية وماتزال تقدمه لرفض " توسلات " أصدقائها فى الوطن العربى بأن تسمح بإقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية وغزة .. إنها لم ترفض لأن الضفة الغربية وغزة ليست أرضا فلسطينية ، ولا لأن الشعب العربى الفلسطينى غير موجود ، ولا حتى لأن ليس له حق تقرير مصيره .. إنما ترفض لسبب وحيد تكرره دائما : أن هذه الدولة الفلسطينية حين تقوم يرجح أن تكون اشتراكية أو على علاقة بالدول الاشتراكية وبالتالى فستكون بؤرة تنطلق منها مخاطر الاشتراكية التى تهدد المصالح المربحة ربحا خرافيا للولايات المتحدة فى الوطن العربى ، وليتصور من يريد كيف أن دولة تستغل نصف الكرة الأرضية وثلاثة أرباع البشر فيها للحصول على الأرباح ، تحرم شعبا من تقرير مصيره لأنه " قد " يهدد جزءا من أسواق تجارتها . حينئذ سيعرف من لم يعرف ماهو جوهر الواقعية والاعتدال فى الوطن العربى . سيعرفون أن وراء الاعتدال " مشاركة واقعية " واستغلال الوطن العربى أرضا وبشرا .

من مواقع هذه المشاركة الواقعية تنطلق الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية تطلب إليها أن تعترف بإسرائيل حتى تقبل الولايات المتحدة الأمريكية الحوار معها . ويحاولون إقناع غيرهم بأن فى هذا الحوار ستستطيع كمنظمة التحرير الفلسطينية أن تقنع الولايات المتحدة الأمريكية، لا أدرى كيف بأن أبدا أبد ا لن يعتنق فلسطينى واحد فى دولة فلسطين المبادئ الاشتراكية ، وأنهم يضمنون من الآن ، لا أدرى كيف ، أن الأجيال القائمة والقادمة ستكون أجيالا مغلقة العقل دون الاشتراكية مشلولة المقدرة على التطور الاجتماعى .. وقد يقبل السيد ريجان حينئذ أن يسمح بقيام دولة فلسطينية بدلا من حشر الشعب الفلسطينى والضفة وغزة فى " خيمة " الأردن .

فأين هذه المكاسب التى ستجنيها منظمة التحرير الفلسطينية ؟.

.38

أن تصبح حكومة فى دولة فلسطينية ؟

مستحيل ؟.

22ـ إن الحكومة القادمة فى الدولة الفلسطينية سيختارها الشعب العربى الفلسطينى ، وليس هناك أدنى شك فى أن الشعب سيختار لحكومته من ترشحهم منظمة التحرير الفلسطينية لو قامت الثورة الفلسطينية كثمرة لانتصار ولو جزئى تحررت به أرض ولو فى حدود مدينة . إن اختيار مرشحى المنظمة فى هذه الحالة ليشكلوا أول حكومة هو تجديد للثقة بالمنتصرين . ولكن لنفرض العكس ، قامت الدولة الفلسطينية كثمرة حوار مقنع مع الولايات المتحدة الأمريكية ، تتجاهل مؤقتا الموقف الإسرائيلي وكانت قوة الإقناع فيه مستمدة من اعتراف المنظمة بدولة اسرائيل ، ذلك الاعتراف الذى عرفنا أنه موقف صهيونى ، ثم جاء وقت اختيار الشعب لحكومته الأولى . كيف سيختار هذا الشعب الذى عانى طويلا حكاما له وممن قادوه نحو عشرون عاما من مكان الى مكان ألى أماكن ، واقتحموا به معارك الفشل والقتال والتشريد والعقاب والعذاب وقدوا من أبنائه عشرات الآلوف ضحايا فى معارك وحشية ، وأصابوا الأمهات بالثكل والزوجات بالترمل والأطفال باليتم من أجل وعد ، وثق به الشعب ، بتحرير فلسطين المغتصبة ، ثم جاءوا فى نهاية المطاف " يعترفون " بإن فلسطين المغتصبة من حق الصهاينة وأن ليس للعرب حق فيها ،

وأن كل التضحيات قد ذهبت هدرا نتيجة " خطأ " فى معرفة لمن الأرض ؟ كيف يثق الشعب فى وعود حكومة لم يصدق أفرادها وعودهم من قبل .

مستحيل .

فأين هى المكاسب التى ستجنيها منظمة التحرير الفلسطينية ؟.
أن تكسب للشعب العربى الفلسطينى دولة ؟

الدولة الموعودة :

23ـ الشعب العربى الفلسطينى مشرد فى الأرض ، مطارد فى الوطن العربى ، يعانى أهوال الإذلال والبطش فى الضفة وغزة ، يعامل معاملة المواطن من الدرجة الثالثة فى فلسطين المغتصبة ، الشعب العربى الفلسطينى

.39 .

أجهده العذاب المتصل ، استنزفت دمه المعارك غير المتكافئة ، الأرض العربية والضفة وغزة " يهودونا " يقيمون عليها المستوطنات ، يزرعون فيها البشر ، لابد من إيقاف المعاناة ، لابد من جمع المشردين ، لابد من إنقاذ الأرض ... لابد من دولة فلسطينية فى الضفة وغزة .

وتكاد تنفطر قلوبنا ألما وحسرة ، وتكاد تجف دماؤنا خزيا وعارا ، لأن الأمور قد وصلت بشعبنا العربى وبأرضنا العربية الى ما يقولون . وما يقولونه صحيح .

" نعم " إذا لدولة فلسطينية .نعم لدولة فلسطينية فى الضفة وغزة . نعم لدولة فلسطينية ولو فى مدينة . نعم لأية دولة فلسطينية على أى قطعة من فلسطين بدون شروط . لايوجد عربى واحد يبلغ به الغباء أو الغرور أو البلاهة حد اشتراطه شروطا لقيام دولة فلسطينية. سمعت من قائد مرموق فى قمة منظمة التحرير الفلسطينية أن صحب أبا عمار فى الحج إلى بيت الله ، أو العمرة ، لا أذكر أيهما ، وهناك رأى أبا عمار يتشبث بستار الكعبة يشدها ويصرخ مستغيثا : دولة فلسطينية يارب .. بعدها عاد الى جنوب لبنان ليستأنف تشبثه بالبندقية . إلى هذا الحد لايريد الشعب العربى الفلسطينى إلا دولة .. يدعو

لها دعاء المتضرعين ويقاتل من أجلها قتال المجاهدين . ويقبلها أينما تكون على أرض فلسطين ولايعنيه فى شئ كيف تقوم ولو قامت بمساعدة الأمريكيين .

ولكن ، أيها الناس ، لم يعرض أحد على منظمة التحرير الفلسطينية "دولة " ولم يسمح أحد لمنظمة التحرير الفلسطينية بأن تقيم دولة . المعروض على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعترف باسرائيل فترضى عنها الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تحاورها ، وقد تعدها بدولة فلسطينية . المؤكد من كل هذا أنه معروض على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعترف باسرائيل . أما الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية فوعد غير موثوق . وأما موضوع الحوار فغير معروف . وأما مايسفر عن الحوار ففى عالم الغيب . وأما الذى يقطع الألسنة ، أو مايجب أن يقطعها ، فهو إعلان الولايات المتحدة المتكرر بأنها لن تقبل قيام دولة فلسطينية أبدا .

المعروض على منظمة التحرير الفلسطينية أن تقسم فلسطين والشعب

. 40 .

العربى الفلسطينى أرضا وبشرا ، بعضه فى دولة الأردن وبعضه فى دولة اسرائيل ، هذا هو العرض الأمريكى . أما الطرف الصهيونى فيقدم عرضين : العرض الأول هو عرض كامب ديفيد ، حكم ذاتى إدارى فى الضفة الغربية وغزة يساهم فيها سكان تحت السيادة الإسرائيلية على الأرض والبشر معا ، والعرض الثانى تطرحه المعارضة فى إسرائيل : السكان فى الضفة وغزة تحت سلطة الحكم الإدارى الأردنى . الأرض تحت السلطة العسكرية الإسرائيلية ، ومجردة من السلاح ومفتوحة الأبواب ، أما العرض " الأوروبى " فهو أحسن صورة دولة فلسطينية منزوعة السلاح لمصلحة اسرائيل ، التى من حقها عقد اتفاق صهيونى يضمن أمنها ضد أى اتجاه معاد لإسرائيل فكريا أو حركيا أو قتاليا .

فأين هى الدولة الفلسطينية فى كل هذه العروض ؟.

24. إن كل الذين يقدمون عروضهم " بدولة فلسطينية " موعودة مقابل الاعتراف بإسرائيل يعلمون علم اليقين أنه لا توجد مؤسسة تستحق إسم "الدولة " الا اذا كانت كاملة السيادة ، سيادة شعبها على أرضها واستقلاله بالأرض دون غيره كاملة السيادة فى أن تقيم سلطتها الوطنية بالطريقة التى يرتضيها الشعب بدون تدخل . كاملة السيادة فى أن تصوغ

الحياة فيها طبقا لما يحقق مصالح شعبها كما يراها شعبها . كاملة السيادة فى أن تدافع عن إقليمها ضد أى اعتداء يقع عليه بكل ما تملك من قوة وبدون قيود . كاملة السيادة فى ان تنشئ أو تعدل أو تلغى أية علاقة مع دولة أخرى طبقا لما تراه محققا لمصالح شعبها ، كاملة السيادة فى أن تعبر عن إرادة شعبها وتنفذ هذه الإرادة بدون إكراه .

وكلهم يعرفون معرفة اليقين أن أية مؤسسة تفقد سيادتها جزئيا أو كليا، ليست دولة ولو قامت فيها حكومة تحكم شعبا مقيما على أرض ، إنها بمعنى أو بآخر مستعمرة . وشعبها بمعنى أو بآخر مستعمر ، وحكومتها بمعنى أو بآخر عميله تطيع مكرهة أو راضية ما يصدر إليها من أوامر أو وصايا أو نصائح من خارجها .

فلماذا يطلقون على عروضهم اسم " دولة " وهم يعلمون تماما أنها أيا كانت منقوصة السيادة أو فاقدتها ، ولماذا يبشرون الشعب العربى المشرد الذى

.41.

يعانى ، الذى يقاتل ، بهذه المؤسسة التى سيعيش فيها منقوص الحرية أو فاقدها . إن كل الفلسطينيين ، فى أى مكان كانوا الآن خارج الأرض المحتلة أكثر حرية مما سيكونون فى هذه المؤسسة التى يسمونها دولة إنهم سيكونون دولة فيها على مستوى الذين يحملون على أكتافهم الآن أثقال الاحتلال الاسرائيلى فى فلسطين المغتصبة ، أنها ستكون " استادا " كبيرا مثل " استاد " بيروت الذى تجمع فيه المقاتلون منزوعى السلاح ، كل مافى الأمر أنهم لن يغادروه الى حيث يعوضون ما فقدوه من مقدرة على القتال ، بل سيحاصرون فيه ليبقوا منزوعى السلاح تحت الحراسة الإسرائيلية والأردنية أو ربما تحت الحراسة الدولية .

25ـ ومع ذلك فا لنتأمل الفجر الفاجر الذى لامثيل له فى التاريخ ، الوعد هو : اعترفوا بإسرائيل تكن لكم دولة ، ولكنكم أيها الناس تعرفون تماما أنه لابد لنا من دولة لتكون لنا صلاحية الآعتراف ، وأن فرض الإعتراف على الدولة ، أية دولة ، هو اعتداء على سيادتها يجردها من أن تكون دولة فيفقد اعترافها أية قيمة .

ثم يقال أن الإعتراف يخرج منظمة التحرير من مأزقها الذى دخلته بعد أن خرجت من بيروت ، مع أنه لم يحدث فى التاريخ أن دعى شعب الى مأزق مثل مأزق الإعتراف . على

الأقل لأن كل المأزق لها مخارج ظاهرة أو خفية ، أما مأزق الاعتراف فهو مقبرة منظمة التحرير الفلسطينية التى لاتخرج منها .

البديل :

26ـ يقال وما البديل ؟... أصبحت " مودة " فى الوطن العربى منذ كامب ديفيد ، أن يكون البديل الجاهز عن الحجة المفتقدة هو القول : وما البديل ؟ هذا خطأ ، ما البديل ؟ هذا استسلام . ما البديل ؟ هذه خيانة . ما البديل ؟ .. لا للإعتراف . ما البديل ؟. أليس من حق الناس أن تفهم أن هذا السؤال عن البديل قد سبقه فى ضمير السائل اعتراف بأن "الإعتراف" استسلام وخيانة ، بلى ، إلا عند السوفسطائيين الذين يجردون الألفاظ من معانيها ثم يتقاذفونها كالمعلبات الفارغة .

مهما كانت الظواهر لانحب أن نتهم عربيا صادق الحيرة فى البحث عن

. 42

بديل وهو يدرك من ذات نفسه أن دعوة منظمة التحرير الفلسطينية إلى الإعتراف باسرائيل هى دعوة للاستسلام أو الخيانة ، فلنقل إذا ببساطة بسيطة أن البديل عن " الإعتراف " هو " عدم الإعتراف " أليس هذا بدهيا .

ثم نضيف أن عدم الاعتراف ليس موقفا سلبيا كما يبدو من صياغته . لا ، إنه أحد المبادئ العتيدة فى القانون الدولى التى تعبر عن الممارسة الايجابية للسيادة والاستقلال . والغريب أن مبدأ عدم الاعتراف يرتبط تاريخيا بالولايات المتحدة . فى عام 1915 وجهت اليابان الى الصين مذكرة تحاول بها الحصول لنفسها على امتيازات فى الصين وقبلت الصين ماطلبته اليابان ولكن الولايات المتحدة الأمريكية احتجت لدى الدولتين بأنها لا تستطيع أن تعترف بأن اتفاق بين الصين واليابان يتضمن مساسا بالسيادة الأقليمية لجمهورية الصين ، وكررت هذا الموقف فى مذكرة مماثلة أرسها وزير خارجيتها 1932 الى الصين واليابان أيضا ، وتبنته عصبة الأمم وأيده ، فقهاء القانون الدولى وأصبح " عدم الاعتراف " مبدأ من مبادئه ارتبط باسم وزير خارجية الولايات المتحدة : "ستمسون".

ولكننا نعترف أن هذا البديل لايكفى ، لا لأن منظمة التحرير الفلسطينية ليست حكومة فى دولة مستقلة لتقع اختياراتها فى نطاق مبادئ القانون الدولى فحسب ، بل أيضا لأننا نفترض أن العربى الحائر حتى اليأس عن بديل يريد موقفا إيجابيا يوقف الهزائم على الأقل أو يتقدم إن أمكن ولو خطوة صغيرة على طريق تحرير فلسطين .

حينئذ لانملك الا أن نقول لاحول ولا قوة إلا بالله ، كيف تفرق الهزائم أفئدة الناس ، فيجزعون وتثير الاضطراب فى عقولهم فلا يعقلون ، وتعمى أبصارهم فلا يبصرون حتى مايقبضون عليه بأيديهم من أسباب النجاة .

على أى حال فأننا نجتهد فنقول واثقين أنه لم يحدث فى تاريخ الصراع العربى أن أتيحت من أسباب النصر على الصهيونية مثل ما هو متاح الآن. وأنه لم يحدث فى تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية أن تملكت على المقدرة على الانتصار قدر ما تملكته بعد ان خرجت من بيروت . ذلك لأنه الآن ، والآن فقط ، حرقت فى نيران بيروت ودفنت مع شهداء صابرا وشاتيلا كل

. 43 .

الأساليب والنظم والدول التى خلفت فى العقل العربى أوهام نصر غير قابل للتحقيق . الآن ثبت أنه لاخيار إلا القتال المسلح والعنف العنيف . وأن كل النظم الرأسمالية والمتابعة لها إما عدو أو حليف للعدو . وأن كل الدول العربية منفردة أو مجتمعة لن تستطيع تحرير فلسطين . بعد هذا التطير بالنار التى أحرقت أوهام صاحبت التقدم الدامى على الطريق المسدود ، أصبح مشروعا أن يثور السؤال ما البديل ؟ وأصبحت الإجابة ممكنة .

من الذى يسأل ، أعنى من الذى يبحث عن بديل ؟..

27ـ أن تكن منظمة التحرير الفلسطينية فقد كان خروجها من بيروت مفتاحا لبدائل كثيرة نثق ، ولاشك أنها تثق ، وأنها قد انتصرت نهائيا فى معركة البقاء التى كانت تخوضها منذ أن ولدت ، الآن أصبح مستحيلا على الصهاينة والأمريكيين وحلفائهم أن يتصوروا المستقبل بدون منظمة التحرير الفلسطينية . فأتت فرصة تصفيتها وأصبحت راسخة الجذور فى المجتمع العالمى تحافظ عليها كل الدول وكل الشعوب حتى الولايات المتحدة الأمريكية . إن كانت فقدت الكثير من سلاحها فقد كشفت معارك بيروت أنها تملك سلاحا

ماضيا سيفتح لها أبواب النصر ، وسيجبر أعداءها على التسليم لها طال ألزمن أو قصر أنه " عدم الأعتراف " . إن الدول والأساطيل والقوات المسلحة التى حملت مقاتليها وحرست أعلامهم وهم يغادرون بيروت هى الأدلة المادية الحاسمة على أن وجودها أصبح ضرورة حيوية لهذه الدول والعالم اجمع يبقونها لتعترف باسرائيل .. إذن لاتعترف باسرائيل تحت أى ظرف وهى واثقة بأن الصبر الطويل سيحمل الجميع ـ فى النهاية ـ على أن يعترفوا بدولة فلسطين المحررة . هذا أحد البدائل .

ثمة بديل آخر لم تعثر عليه الثورة الفلسطينية بل ألقيت إليه وكان بعيد المنال .

لقد بعثرت القوات المناضلة فى أطراف الوطن العربى ، أبعدوا عن "كلب الحراسة " ليجدوا أنفسهم داخل عباءة العدو الأول : الولايات المتحدة الأمريكية . وماله من موقع إن أحسنوا الاستفادة به فلن يخرجوا منه إلا الى فلسطين المتحررة ، فمن حولهم ، وفى متناول أيديهم عدوهم الأول متجسدا فى مصالحه ، إنهم لا يستطيعون القضاء على تلك المصالح نهائيا ،

. 44 .

نعم ، ولكن من الذى قال أن هذا لازم .. يكفى أن تتحول الأرباح الأمريكية الى خسائر بالمعنى " المادى " للربح والخسارة ليؤدى قانون النظام الأمريكى دوره . وحين تقتنع الإمبراطورية المالية التى تسخر حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وقواتها المسلحة لفتح وتأمين مجالات الربح فى الوطن العربى إلى أنه لامجال لأى ربح مادامت فلسطين مغتصبة ، فستحمل تلك الإمبراطورية المالية المجردة من أية مبادئ ، ستحمل خادمها القابع فى البيت الأبيض وأعوانه وقواته على إخلاء الطريق أمام العرب ليخلوا فلسطين من مغتصبيها .

وهذا بديل

ثم هناك بديل لابد أن تكون معارك بيروت قد أقنعت منظمة التحرير الفلسطينية بجدواه بعد تردد طويل . فى يناير 1975 كتبنا نقول :".. إن الثورة الفلسطينية قد اقتربت . وهى تتقدم . من نهاية المطاف وعليها أن تتمرد على ذاتها لتكون قابلة للالتحام العضوى مع القوى القومية التقدمية إيذانا بمولد الثورة العربية . وبكل الإخلاص الصادق الذى لانملك غيره . الآن . نقول أن مرحلة " الثورة الفلسطينية " قد اوشكت على نهايتها وحققت

أقصى ماتسمح به طاقتها وظروفها الإقليمية وعليها أن تعد نفسها من الآن لتكون جزءا عضويا من متطلبات المرحلة المقبلة : الثورة العربية .

".. إن مسئولية هذا الميلاد التاريخى لاتقع على الثورة الفلسطينية وحدها وإن كانت تتحمل قدرا كبيرا من المسئولية عنه . أما باقى المسئولية فيقع على أولئك الذين يطيب لنا الحديث عنهم تحت عنوان القوى القومية التقدمية ..".

فإ ن كانت الإقليمية داخل الثورة وخارجها قد حالت دون أن تتطور الثورة الفلسطينية الى ثورة عربية ، بإقامة حواجز بينها وبين الجماهير العربية العريضة فها هى معارك بيروت قد ألقت بالثورة الفلسطينية فى محيط الجماهير العربية بعيدا عن الحصر الإقليمي .

هاهي قد أعادتها عنوة الى رحم أمتها العربية لتولد من جديد ثورة

. 45 .

عربية ، وهى قادرة الآن على أن تتطهر من جراثيم الإقليمية داخلها وهوام الإقليمية خارجها .

وهذا بديل ، أكثر البدائل حسما فى معركة تحرير فلسطين ..,

28. أما إذا كانت الدول العربية هى التى تبحث عن البديل فلا يكفينا أن نقول لها جميعا إرفعى يدك عن فلسطين ولو حياء من موقفك وقوى الثورة محاصرة فى بيروت ، بل نقول أنه من الغريب أنها هى أيضا قد أصبحت بعد معارك بيروت تملك أفضل البدائل منذ عام 1973 ، فلنتأمل معا منذ 1974 لم يهدأ أى جهاز تعبير فى حكومة مصر العربية من أول رئيس الجمهورية الى آخر مذيع فى إذاعة إقليمية عن التأكيد على أن مصر لاتقبل ولم تقبل صلحا منفردا مع إسرائيل ، وأنها لاتفرط ولم تفرط فى حقوق شعب فلسطين ، وأنها لاتتخلى ولم تتخل عن مسئولياتها القومية . فى ظل هذا الإعلام المكثف المتصل أبرمت اتفاقيات كامب ديفيد واتفاقية الصلح وبدأت مفاوضات الحكم الذاتى ، وتتمسك منذ عام بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره . إذا ، أرادت حكومة مصر العربية وتريد أن تقنع العرب جميعا بما فيهم الشعب العربى فى مصر أن اتفاقياتها مع اسرائيل كانت مقترنة فى ذهنها بشرط فاضح هو تمكين شعب فلسطين من تقرير مصيره . ولقد كانت حددت

خمس سنوات بعد كامب ديفيد لتحقيق هذه الغاية . اليوم لم يبق على نهاية السنوات الخمس غير تسعة أشهر . وتحت سمع وبصر حكومة الاستهانة المذلة التى تمارسها إسرائيل بكل ما وعدت به وما اتفقت عليه وإن " طابا " على ذلك شهيد ، وتحت سمعها وبصرها التصفية الجسدية لشعب فلسطين فى لبنان ... فهل تبحث الحكومة فى مصر عن بديل يصحح كل مافات ويعيد إليها مركز قيادتها فى الصف العربى يحيطها بتأييد أكثر من مائة مليون من جماهير الأمة العربية؟.

إن كانت تبحث فها هو : بيان من رئاسة الجمهورية بأنه إذا لم يستطع العالم أن يمكن شعب فلسطين من تقرير مصيره بحرية وبدون تدخل من أية قوة قبل 22 سبتمبر 1983 فإن مصر تعتبر اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السلام منتهية ، وستتخذ المواقف التى تراها على هذا الأساس .

. 46 .

إن هذا البيان وحده هو الذى يحدد مضمون الجملة الرنانة " وضع العالم أمام مسئوليته ".

إن بيانا جادا بهذا المعنى سيخلع قلوب العالم العربى وسيضع كل حكومة فيه أمام مسئوليتها أمام شعبها . وستولى هذه الشعوب ما لا نستطيعه نحن : إكراهها على أن تدفع ثمن السلام الذى اختلسته نصبا واحتيالا . وسيكون له فى الوطن العربى أثر " النفخ فى الصور " تبعث به الى الحياة دولا وقوى أصبحت أمواتا ، وستتراص القوى العربية صفا كما يحدث قبل معركة 1973 ، وكما بعد معركة 1967 ، وكما حدث أثناء 1956 ، وستحل به المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأنه سيحل وثاق المذلة الذى أفقد الإنسان العربى حق المقدرة فى التفكير ، دعونا نعرى عصا الولايات المتحدة الأمريكية العملاقة ، فمن قبل ضربت لنا الأسطورة مثلا أن النبى العملاق سليمان عليه السلام مات متكئا على عصاه ، وبقيت مخلوقات الأرض تخدمه ظنا بأنه مادام واقفا على قدميه فهو ذا قوة عظمى ، إلى أن استطاع مخلوق دقيق أن يرب عصاه فلما انكسرت انهار العملاق .

فإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية المتحللة اجتماعيا من الداخل تقف على عصا الاقتصادية فلنفرها حتى تنهار أو تجثو على ركبتيها ، وإن كان العالم كله يتكئ على عصا السلام فى الوطن العربى مطمئنا الى عجزنا عن الإهتداء الى البدائل أو عجزنا عن استعمال

البدائل المتاحة ، فلنذكره بأن ليس ثمة بديل عن فلسطين إلا انهيار السلام فى الوطن العربى وفى العالم. وحين نتذكر ونفرض عليه جديتنا فسيخلى بيننا وبين ذلك العدو الصهيوني كل بقوته الخاصة . حينئذ سنلقى الصهاينة فى البحر.

نعم لقد قالوا ألف مرة سيلقون العرب فى الصحراء فلم يتذكرها أحد ، ولم نقل قط أننا سنلقى الصهاينة فى البحر ، وسندوها إلينا ،وسألونا عنها، وحاسبونا عليها حسابا عسيرا . وبقينا دهرا ندفع تهمة بقول لم نقله إلى .. إلى أن ألقوا قوى الثورة الفلسطينية فى البحر. فلنقلها الآن ولنكررها دائما فقد ثبت حتى لأكثر الناس بلادة أن القضية هى : إما نحن

. 47.

وإما هم فى فلسطين . وحين يأتى ذلك الحين الذى سنفرضه ونلقيهم فى البحر فلن نغضب من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا أن جاءت أساطيلها تلتقطهم وتحملهم بعيدا عن الأرض العربية كما حملت أصحاب الأرض العربية بعيدا عنها .

هذا إذا كانت ثمة يبحث عن بديل حقا ، فهو ثمة من يبحث عن بديل ؟.

فى أبريل 1970 قلنا فى حوار على فصائل المقاومة جرى فى عمان أن اسرائيل قد نشأت ونمت وتعيش فى حماية الدول العربية فهل كنا . نحن القوميين . مخطئين ؟

القاهرة فى 28 ديسمبر 1982

دكتور عصمت سيف الدولة